روايات مصرية للجيب

ملف المستقبل

سرى جدا!!

الفجوة السوداء

110

د. نبيل فاروق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة

ملف المستقبل

فى مكان ما من أرض (مصر) ، وفى حقبة ما من حقب المستقبل ، توجد القيادة العليا للمخابرات العلمية المصرية ، يدور العمل فيها فى هدوء تام ، وسرِّية مطلقة ؛ من أجل حماية التقدُّم العلمى فى (مصر) ، ومن أجل الحفاظ على الأسرار العلمية ، التى هى المقياس الحقيقى لتقدم الأمم .. ومن أجل هذه الأهداف ، يعمل رجل المخابرات العلمية (نور الدين محمود) ، على رأس فريق نادر ، تم اختياره فى عناية تامة ودقة بالغة ..

فريق من طراز خاص ، يواجه مخاطر حقبة جديدة ، ويتحدى الغموض العلمى ، والألغاز المستقبلية ..

إنها نظرة أمل لجيل قادم ، ولمحة من عالم الغد ، وصفحة جديدة من الملف الخالد ..

ملف المستقبل .

د. نبيل فاروق

١ - المجهول ..

خيَّم على المرصد الفلكى الجديد صمت رهيب ، فى تلك الليلة من ليالى منتصف الشتاء ، فى القرن الحادى والعشرين ، وتعلَّقت عيون العاملين فيه ، ومديره ، والدكتور (ناظم) ، رئيس مركز الأبحاث العلمى ، التابع للمخابرات العلمية المصرية ، بالشاشة الكبيرة ، فى قاعة المراقبة ، والتى تنقل ما ترصده عدسات المرصد العملاقة ، من أحداث مثيرة عجيبة ، على سطح القمر وحوله ..

وخفقت القلوب فى عنف ، والعيون تراقب تلك الصخور هائلة الحجم ، التى راحت تنفصل عن القمر ، وتنطلق فى مدار حلزونى ، نحو مركز الفجوة السوداء الرهيبة ، التى تكوَّنت فى قلب الفضاء ، وراحت تجذب إليها كل ما حولها فى قوة ، وهى تكبر وتتسع أكثر وأكثر ، فى كل دقيقة تمضى ..

وفى توتر بالغ ، غمغم مدير المرصد :

ـ لن تمضى ثوان معدودة ، حتى يلحق المكوك

(القاهرة ٢٠٠٠) بتلك الصخور ، وتجذبه الفجوة السوداء ؛ ليغوص فى مركزها إلى الأبد ..

عضّ الدكتور (ناظم) شفتيه قهرًا ومرارة ، وهو يستمع إلى قول مدير المرصد ، وحزن هائل رهيب يعتصر قلبه فى قسوة ..

وانطلقت ذكرياته إلى الأمس القريب ..

وإلى بضعة أيام مضت ..

إلى البداية ..

فمنذ أيام قليلة ، كانت الدورية السابعة ، من دوريات المراقبة الفضائية تقوم بعملها المعتاد ، فى مراقبة الحدود الفضائية ، عندما وجدت أمامها جسمًا فضائيًا مجهولاً ، يتجه نحو الأرض مباشرة ..

وحدث الاشتباك بين الدورية السابعة ، وذلك الجسم الفضائى المجهول ..

وأطلقت الدورية صاروخها نحوه ..

وحدث الانفجار فى قلب الفضاء ..

وكان انفجارًا رهيبًا ..

وإلى أقصى حد ..

لقد امتدّ تأثيره إلى مسافة هائلة ، مع موجة من الحرارة ، سحقت قاعدة القمر سحقًا ، وأضاءت نصف

الكرة الأرضية فى قلب الليل ، كما لو أن شمسًا جديدة قد أشرقت فى الكون ..

وليت الأمر اقتصر على هذا ...

لقد نشأت فى مركز الانفجار فجوة ..

وهنا بدأت الكارثة الحقيقية ..

لقد بدا وكأن تلك الفجوة أشبه بثقب فى قاع حوض كبير ، تكوّنت حوله دوّامة قوية ، تجذب إليها كل ما حولها ، وتلقيه فيه بلا رحمة أو هوادة ..

وأصبح مصير الأرض كلها فى خطر داهم ..

خطر ينبئ بنهاية قاسية رهيبة ، فيها فناء للبشرية كلها ..

بل وللكوكب كله ..

وانطلق مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) إلى القمر ، وعلى متنه (نور) و(أكرم) ، وفريق من الروس والأمريكيين والعرب ، وألمانى واحد ، لدراسة ما أصاب القاعدة القمرية ، والسعى إلى جمع مزيد من المعلومات حول الفجوة وتأثيرها ، ومحاولة إحضار كرة المعلومات ، التى سجّلت كل التفاصيل العلمية للكارثة .

وعلى القمر ، بدأت الأحداث الدامية ..

(نور) و(أكرم) تعرضا لمحاولة اغتيال ، بعد استعادتهما كرة المعلومات ، وعثورهما على شاب وفتاة نجيا من الكارثة ..

واختطف المعتدى المجهول كرة المعلومات ، ثم راح يقتل أفراد الفريق ، واحدا بعد الأخر ، فى محاولة للحصول على كل المعلومات الممكنة لدولته ..

وكان الوقت يمضى بسرعة كبيرة ..

والخطر يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم انكشف الجاسوس ، الذى لم يكن سوى الروسية (ناتاشا كوربوف) ، التى حاولت الهرب بكرة المعلومات ، بعد اختطاف (نادية) ، الفتاة التى نجت من الكارثة ، والتى لقى زميلها مصرعه احتراقًا ، وانكشف كونهما من الجيل الأول للمقاتلين الفضائيين ، الذين يمكنهم العيش على سطح القمر ، دون أجهزة معاونة ..

وكانت مواجهة رهيبة ..

مواجهة انتهت بمصرع (ناتاشا) ، فى نفس اللحظة

التى بدأت الفجوة فيها فى التهام الصخور الضخمة للقمر ، وراحت تجذب المكوك إليها (*) ..

ولم يكن الدكتور (ناظم) يعلم شيئًا عن تلك التفاصيل الأخيرة ..

التفاصيل التى حدثت ، وهو يراقب ما يحدث على القمر ، فى تلك اللحظات ..

ولكن قلبه انتفض بين ضلوعه فى عنف ، عندما بدا له المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) على شاشة المراقبة ، وهو يندفع فى نفس المدار الحلزونى ، وسط الصخور الضخمة ، نحو الفجوة السوداء مباشرة ..

وبكل الهلع فى أعماقه ، تمتم :

ـ رباه ! .. (نور) ! .. (أكرم) .. يا إلهى !

وأمام العيون المذعورة ، تضاعفت سرعة المكوك ، وهو ينطلق مرغمًا نحو الفجوة ، وارتجف صوت مدير المرصد ، وهو يقول :

ـ يا للمساكين ! .. بعد أربع ساعات أخرى سينهار القمر نفسه ، وبعد هذا بما يقرب من ساعتين ، يأتى دور الأرض .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول (الدوامة) .. المغامرة رقم (١٩) .

انتفض قلب الدكتور (ناظم) مرة أخرى ، دون أن ينبس ببنت شفة ، وتسمرت عيناه على المكوك ، الذى بدا على الشاشة ، وهو يغوص فى قلب الفجوة السوداء ، ثم يختفى تمامًا ..

لقد لحق بالصخور الضخمة فى أعماق الفجوة السوداء ، وأصبح مصيره مجهولاً ..

ومخيفًا ..

بحق ..



اتسعت عيون (نور) ورفاقه فى ارتياع ، داخل مكوك الفضاء (القاهرة ٢٠٠٠) ، وهم يحدقون فى ذلك المشهد الرهيب ، عبر النافذة الكبيرة فى المقدمة .

إنهم ينطلقون بسرعة تزايدية مخيفة نحو فجوة سوداء هائلة ، وحولهم عدد ضخم من الصخور الكبيرة ، يرتطم بجسم المكوك أحيانًا ، أويتجاوزه بسرعة مذهلة فى أحيان أخرى ..

وبإرادة فولاذية ، انتزع (نور) نفسه من دهشته وخوفه ، وهتف :

ـ اجلسوا على المقاعد بسرعة ، وليحكم كل منكم حزام مقعده بقدر الإمكان .

هتف (أكرم) فى توتر ، والآخرون ينفذون أمر (نور) :

ـ ألا ينبغى أن نرتدى زيّنا الفضائى ؛ خشية أن يصاب جسم المكوك ، وينهار الضغط داخله ، وينفد الهواء ، و ...

قاطعه (نور) فى توتر شديد ، وهو يراقب تلك الفجوة شديدة السواد ، التى باتت فى حجم أضخم الجبال ، والمكوك يواصل اندفاعه نحوها بسرعة خرافية :

ـ لست أظننا نجد الوقت لهذا .

نطقها ، فهوت على رءوس الجميع كالصاعقة ، وأسرع (أكرم) يربط حزام مقعده بدوره ، واشترك مع الآخرين فى نوبة صمت مهيبة ، وكلهم يحدقون مذعورين فى ذلك الظلام الرهيب ، الذى يتجهون نحوه بسرعة مذهلة ، وتشبّث (نور) بذراع القيادة فى قوة ، على الرغم من معرفته بتلف محركات المكوك ، فى حين راح الأمريكى (ستيف واتسن) يرتجف ، كريشة فى مهب الريح ، وأمسك الألمانى (فردريش أوتو) جانبى مقعده فى قوة ، وكأنه يخشى أن يرميه الارتجاج العنيف خارجه ، على الرغم من حزام الأمان ، وأخفت

(نادية) وجهها بكفيها ، لتحجب عن عينيها مشهد السواد المخيف ، وهى تردد مذعورة :

- الرحمة يا إلهى ! .. الرحمة ..

أما (خالد) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، وتجمدت مشاعره كلها فى أعماقه ، وزايله شعور قوى بأنه يشهد لحظاته الأخيرة ..

وفى عقول الجميع - بلا استثناء - انطلق فيض قوى من الأسئلة ، يعزف على أوتار المشاعر والمخاوف والانفعالات ..

ماذا سيحدث ، عندما يصل المكوك إلى الفجوة السوداء ؟! ..

هل ينفجر ، فيلقون حتفهم جميعًا ؟! ..

أم يعبرها بلا خسائر ؟! ..

ولو أنه عبرها ، فما الذى سيجدونه خلفها ؟! ..

وهل يمكن أن يعودوا إلى عالمهم ؟! ..

أم أن هذه هى النهاية ؟! ..

نهايتهم ..

ونهاية الأرض ..

وبكل سرعته واندفاعه ، انقض المكوك (القاهرة ٢٠٠٠) على الفجوة ..

وانطلقت من حلوقهم شهقة قوية ، و(نور) يهتف :

- يا إلهى ! ..

ومع هتافه ، غاص (القاهرة ٢٠٠٠) وسط ظلام دامس رهيب ..

ظلام لم يشهد أحدهم مثله قط ..

إنه أشد الظلمة سوادًا ورهبة ، حتى إن دفقة كبيرة من خوف مبهم قد انقضت على قلوبهم ، وزلزلتها فى صدورهم ، وعيونهم المذعورة تحدق فى الظلام المحيط بهم ، والمكوك يرتج فى عنف أكثر ، وأكثر ، وأكثر ..

وبكل انفعاله ، صرخ (أكرم) :

- لن نتجاوز هذا الموقف أبدًا ..

ثم استطرد فى ثورة يائسة :

- اللعنة ! .. ألف لعنة ! .. أما من نهاية لهذا الظلام .

لم يكد ينطقها ، حتى انبعث ذلك الضوء فجأة ..

ضوء قوى ، اخترق بغتة حجب الظلام ، وأغشى عيونهم لحظة ، وهو يغمر المكوك كله ، ويحيط به ، ثم ينتشر إلى كل ما حوله ..

وفى دهشة ، هتف (نور) :

- عجبًا ؟! .. أيمكن أن نجد ضوءًا داخل فجوة سوداء (*) .

لم يجب أحدهم سؤاله ..

بل ولم يجدوا أنهم بحاجة إلى إجابته ..

ففى اللحظة التالية مباشرة ، وعندما فتحوا عيونهم المجهدة فى حذر ، أدركوا جميعًا سبب ذلك الضوء المباغت ..

لقد عبروا الفجوة ..

عبروها إلى عالم عجيب ..

عجيب للغاية ! ..

فأمامهم ، وعلى مرمى البصر ، كان يمتد فضاءٌ هائل ، يختلف عن فضائنا ، الذى نعرفه فى عالمنا ، فى أمر جوهرى للغاية ..

لونه ..

(*) الفجوات السوداء لها قوة جذب هائلة ، تجعلها قادرة على جذب كل الأجسام والأشياء ، حتى الضوء ، ومن هنا كان لونها الأسود ، بسبب أنه لا تنعكس عنها أية أضواء ، ومن هنا جاءت تسميتها أيضًا .

فذلك الفضاء السرمدى ، الممتد إلى ما لانهاية ، لم يكن ساكنًا مظلمًا ، وإنما كان فراغًا مضطربًا ، هائلاً ، تنتشر فيه سحب حمراء مخيفة ، تنطلق منها بين الحين والحين ، صواعق عملاقة ، تضىء ما حولها لمسافات شاسعة ..

أما تلك الفجوة السوداء ، التى عبروها على التو ، فقد بدت خلفهم عبارة عن فجوة بيضاء هائلة ، ينطلق منها ضوء مبهر ، مع سيل من الصخور القمرية الضخمة ، التى تندفع معهم نحو كوكب ضخم ، غمره الضوء ، وأظهر لونه الدموى الرهيب ، وسط ذلك الفضاء العاصف الثائر .

وعندما سطعت صاعقة أخرى ، وأغشى ضوؤها عيونهم للمرة الثانية ، هتف الألمانى :

- رباه ! .. إننا نتجه إلى ذلك الكوكب مباشرة !!..

وأكمل الأمريكى مرتجفًا :

- سيتحطم المكوك ، ونلقى مصرعنا جميعًا ، لو ارتطمنا بسطحه ، بهذه السرعة الرهيبة !

شهقت (نادية) فى ارتياع ، واتسعت عينا (خالد) أكثر وأكثر ، فى حين انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يتمتم فى عصبية :

- هناك مخرج من هذا حتمًا .. هناك مخرج ما .

(نور) وحده ظلّ صامتًا ، وعقله يعمل بأقصى سرعته وطاقته ..

(واتسن) على حق ..

لو واصل المكوك انطلاقه نحو ذلك الكوكب ، بهذه السرعة الفائقة ، فسيتحطّم على سطحه حتمًا ..

بل سينسحق سحقًا ..

ومحركات المكوك تالفة ، مما يعنى أن صواريخه الدافعة لن تعمل ، ولن تساعدهم على تفادى الارتطام .

حتى الدفة ، لن تفيد كثيرًا ، فمن الواضح أن قوة الاندفاع هذه ستوقعهم حتمًا فى مجال جاذبية الكوكب ، مهما حاولوا الفرار ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد استخدمها (نور) ..

جذب عصا القيادة جانبًا ، يمينًا ويسارًا ، وحاول الدوران بالمكوك ، للتقليل من سرعة اندفاعه ، إلا أن محاولته لم تزد إلا لمضاعفة قوة الارتجاج ، على نحو جعل (نادية) تصرخ :

- ماذا يحدث ؟! .. ماذا سيصيبنا ؟!

هتف (أكرم) فى خشونة :

- اصمتى وتشبثى بمقعدك .. إننا نقترب أكثر وأكثر من ذلك الكوكب .

كان المكوك يقترب بالفعل من ذلك الكوكب الدموى ، الذى بدا أشبه بكرة قانية من الدم ، تسبح وسط ذلك الفضاء الثائر ، فى مشهد رهيب ، ارتجف له قلب (خالد) ، وهو يغمغم :

- رباه ! .. أى كوكب هذا ؟!

كانت معالم الكوكب تتضح تدريجيًا ، مع اقتراب المكوك ، على الرغم من السحب الداكنة الكثيفة ، التى تغطى أجزاء عديدة منه ، والتى يخترقها سيل الصخور المنهمر من الفجوة بلا انقطاع .

فأمامهم مباشرة ، بدت قارة كبيرة ، ذات تضاريس حادة ، يحيط بها محيط هائل ، مياهه صفراء داكنة ، وتتناثر فيه جزر مختلفة الأحجام ، تشترك كلها فى ذلك اللون الأحمر الدموى ، ومن بعيد بدت قارة أخرى ، يختفى معظمها مع منحنى استدارة الكوكب ..

كان حجم الكوكب مقارب لحجم الأرض إلى حد كبير(*) ، وإن بدا أشبه (بالمريخ) ، وهم يقتربون منه أكثر وأكثر ..

(*) الأرض ثالث كواكب المجموعة الشمسية ، من حيث بعدها عن الشمس ، وخامسها من حيث الحجم .

وفى عصبية شديدة ، قال (أوتو) :

ـ رباه ! .. أما من وسيلة لتفادى الارتطام ؟!

وقال (واتسن) متوترًا :

ـ لو أننا فقط نستطيع الهبوط فى ذلك المحيط الأصفر !

ارتجف صوت (خالد) ، وهو يقول فى يأس :

ـ هذا يحتاج إلى وسيلة لتغيير مسار المكوك ، والمحرك أفسدته (ناتاشا) اللعينة بقنبلتها ، وبدونه لن ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فجأة :

ـ صواريخ الطوارئ .

التفت إليه الجميع فى دهشة وتساؤل ، فتابع فى حماس :

ـ هذه الصواريخ بالتحديد لا تتصل بالمحرك الرئيسى ، فمهمتها هى إحداث دفع جانبى أو أمامى ، لتغيير مسار المكوك بسرعة كبيرة ، فى حالات الطوارئ ، ولو أننا استخدمناها الآن ، فربما أمكننا تفادى الارتطام بالأرض ، والاتجاه نحو ذلك المحيط الأصفر .

سأله (خالد) فى لهفة :

ـ أتعتقد أنها مازالت صالحة للعمل ؟!

ضغط (نور) زر تشغيل صواريخ الطوارئ بالفعل ، وهو يجيب فى حزم :

ـ هناك وسيلة مضمونة ، للتأكد من هذا .

ارتج المكوك فى عنف شديد ، مع ضغطته على الزر ، وانحرف بحركة حادة إلى اليسار ، فهتف (أكرم) :

ـ رباه ! .. هل أفلحت فكرتك يا (نور) ؟

لم يجب (نور) عن السؤال ، وهو يتشبث بعصا القيادة بكل قوته ، محاولاً استغلال تلك الدفعة المحدودة ، لتوجيه المكوك نحو المحيط ، بدلاً من أن يرتطم بالكوكب ، فى حين توقف عمل صواريخ الطوارئ مؤقتًا ، فى انتظار ضغطة زر أخرى ، و ..

وفجأة ، دوى داخل المكوك صوت ارتطام قوى ، جعل (نادية) تطلق صرخة ذعر ، و(أوتو) يهتف :

ـ ماذا حدث ؟! يا إلهى ! .. ماذا حدث ؟!

أما (واتسن) ، فتشبث بمقعده أكثر ، وراح يتأوه بصوت مرتفع ، كما لو أن هذا الارتطام قد أصابه شخصيًا ، وشهق (خالد) فى عنف ، فى حين غمغم (أكرم) فى عصبية شديدة :

ـ الصخور !



بدأ المكوك مرحلة الدخول فى الغلاف الجوى للكوكب الدموى ، فى تلك اللحظة ، مع عدد هائل من صخور القمر ..

وكان من الواضح أنه أول من انتبه إلى حقيقة ما حدث ، فلم يكد يتمّ كلمته ، حتى انبعث ذلك الصوت الآلي ، عبر كمبيوتر الأعطال ، يقول :

- إصابة في الثلث الأخير .. تم عزل المنطقة المتبقية .. خلل في الدقة وأجهزة التوجيه .. المسبّب صخرة كبيرة ، تزن خمسة أطنان ، يرجّح كونها من صخور القمر ..

شحب وجه (واتسن) بشدة ، وهو يهتف :

- رباه ! .. ذلك الانحراف المباغت جعل إحدى صخور القمر الضخمة ، التى جذبتها الفجوة ، ترتطم بنا .. لا ريب فى أنها أصابت المكوك بعطب شديد .

أجابه (أكرم) فى عصبية :

- اطمئن .. لن تضيف الكثير إلى ما به من إصابات وأعطال .

قال (أوتو) فى توتر :

- ربما ، ولكن الصدمة أعادتنا إلى مسارنا الأوّل ، ولم تعد نجاتنا ممكنة ..

بدأ المكوك مرحلة الدخول فى الغلاف الجوى للكوكب الدموى ، فى تلك اللحظة ، مع عدد هائل من صخور القمر ، من مختلف الأشكال والأحجام ، فقال (نور) :

- فرصتنا الوحيدة في أن يخفف الاحتكاك بالغلاف الجوي سرعتنا .

بدأ وهج ناري يحيط بالمكوك ، في حين راحت بعض الصخور تحترق وتتبخر ، وهي تخترق الغلاف الجوي للكوكب ، في مشهد رهيب ، يحيط بهم من كل جانب . في حين راح الكمبيوتر يحلل الغلاف الجوي ، قائلا بصوته الآلي :

- غلاف جوي أقل سمكا من الغلاف الجوي للأرض بنسبة ثلاثة في المائة .. يتركب من النيتروجين بنسبة (٨٠,١٪) ، والأكسجين بنسبة (٢١,٩٪) ، و ...

هتف (أوتو) ، قبل أن يكمل الكمبيوتر تحليلاته :

- عظيم .. نقطة لصالحنا على الأقل ، فالهواء هنا يقترب كثيرا في تركيبه مع هواء الأرض (*) ..

مط (أكرم) شفتيه ، قائلا في عصبية :

- هذا لو وجدنا الوقت لاستنشاقه .

(*) يتركب هواء الأرض من النيتروجين ، بنسبة (٧٨,٠٩ ٪) ، والأكسجين (٢٠,٩٥ ٪) ، مع كميات ضئيلة من الأرجون ، وثاني أكسيد الكربون ، وغازات نادرة ، كما يحتوي على بخار الماء والغبار .

ارتجفت قلوبهم جميعا لقول (أكرم) ، وشهقت (نادية) مرتين متتاليتين ، وحدقت كل العيون في ذلك الوهج الناري ، عبر النافذة الأمامية الكبيرة للمكوك ، والمعالجة لاحتمال درجات حرارة فائقة ، وبدا لهم أن مصيرهم صار محتوما ، وما من سبيل في الكون كله لتفاديه ..

حتى (نور) ، حاول تشغيل صواريخ الطوارئ ثانية ، إلا أنها رفضت العمل هذه المرة ، وتركت المكوك يخترق السحب الداكنة كشعلة من اللهب ، ثم ينقض على القارة الحمراء الكبيرة ، على نحو يوحي بأنه سينسحق بركابه فوقها حتما ، بلا أمل في النجاة .

بلا أدنى أمل .

* * *



٢ - الأمل ..

« انتهى أمرهم ؟! .. » .

امتقع وجه القائد الأعلى للمخابرات العلمية المصرية ، واعتصرت قبضة باردة قلبه فى قسوة ، وهو ينطق هذه العبارة ، محدقًا فى وجه الدكتور (ناظم) ، الذى قلب كفيه يأسًا ، وهو يطلق زفرة مفعمة بالمرارة ، من أعماق صدره ، ويقول فى أسى :

- نعم أيها القائد .. انتهى أمرهم للأسف .. تلك الفجوة ابتلعتهم بلا رحمة ولا رجعة .

ازدرد القائد الأعلى لعابه فى صعوبة ، قبل أن يسأل بصوت خافت :

- أما من سبيل لعودتهم ؟!

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيًا فى أسف ، وقال :

- ليس من الناحية العلمية ، فقوة الجذب الرهيبة لتلك الفجوة السوداء ، تجعل عبورها ممكنًا فى اتجاه مركزها فحسب ، ولا تسمح لأى جسم ، مهما بلغت طاقته الدافعة ، بالخروج منها فى الاتجاه المعاكس .

ثم ازدرد لعابه بدوره ، وأضاف :

- هذا لو أنها لا تسحق فعليًا كل ما يعبرها .

سرت قشعريرة باردة فى جسد القائد الأعلى ، وهو يتمتم :

- يا للخسارة !

وافقه الدكتور (ناظم) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- وأية خسارة ! .. إنه (نور) ، و(أكرم) ، وفريق من أفضل رجال العلم والبحث فى العالم .

وتنهد فى عمق ، قبل أن يضيف :

- ولكن هذه الخسارة لن تساوى شيئًا ، عندما يحين دورنا

التقى حاجبا القائد الأعلى ، وهو يسأل فى رهبة :

- أما زالت حساباتكم مؤكدة ؟!

أومأ الدكتور (ناظم) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم للأسف .. أربع ساعات فحسب وينهار القمر ، وتجذبه تلك الفجوة إليها ، فيحدث خلل فى جاذبية الأرض ، وتثور البحار والبراكين ، وتكثر الزلازل ، ثم يحين دور الأرض ، بعد ما يقرب من ساعتين ، لتلحق بالقمر .

اتسعت عينا القائد الأعلى فى ارتياع ، وكأنما يستمع إلى هذا الحديث للمرة الأولى ، وتمتم :

- يا إلهى ! .. يا إلهى ! ..

ونهض من خلف مكتبه ، وراح يسير فى حجرته فى توتر ملحوظ ، قبل أن يتوقف بحركة حادة ، ويلتفت إلى الدكتور (ناظم) ، قائلا :

- لا يمكن ألا تكون هناك وسيلة لتفادى هذا المصير الرهيب ؟! .. لا يمكن أن تسقط الأرض ، ونحن مكتوفى الأيدى على هذا النحو .

قلب الدكتور (ناظم) كفيه ثانية ، وهو يقول :

- وما الذى يمكننا أن نفعله ؟!

هتف به فى حدة صارمة :

- ابذلوا جهدا أكبر يا رجل .. استشيروا أجهزتكم المتطورة .. اعتصروا عقولكم .. ابحثوا عن أى حل بديل .. أى حل .

قال الدكتور (ناظم) فى مرارة :

- إننا نبذل قصارى جهدنا بالفعل .

أشار القائد الأعلى بسبابته ، هاتفا :

- هل فكرتم فى استخدام القنابل الارتجاجية ؟! .. لقد ابتكرها الأمريكيون ، عام ألفين وسبعة ، ولكنهم لم يستخدموها قط ، لأن الدراسات أثبتت أنها من القوة ، بحيث يمكن أن تفنى الأرض كلها مع انفجارها . حاولوا

استخدامها إذن .. أطلقوها نحو تلك الفجوة اللعينة ، لعل انفجارها العنيف يطيح بها .

هز الدكتور (ناظم) رأسه نفيا ، وهو يقول :

- لن يفعل أيها القائد .. لقد درسنا الفكرة بالفعل ، ولكن حساباتنا ألقت ظلالا من الشك على الأمر ، وأظهرت أنه من المحتمل أن يؤدى انفجار القنبلة الارتجاجية إلى توسيع الفجوة ، ومضاعفة قوة جذبها ، بدلا من إغلاقها .. ثم إن الوقت اللازم ، لوصول القنبلة إلى الفجوة ، يزيد عن الزمن الحقيقى من عمر الأرض بالفعل .

عادت عينا القائد الأعلى تتسعان فى ارتياع ، وهو يقول :

- هل تعنى أنه ليس هناك أمل حقيقى ؟

لم يجب الدكتور (ناظم) ، وإنما خفض عينيه فى أسف وأسى ..

وكان صمته هذا أبلغ من أى جواب ..

★ ★ ★

كان الكوكب الدموى يقترب بسرعة ، على الرغم من احتكاك المكوك بغلافه الجوى ، وعيون الجميع معلقة بأرضه الحمراء القانية ، التى ترتجف لمرآها القلوب ،

وشبح الموت يحلق فوق رءوسهم ، فى ثياب من اليأس والأسى والإحباط والمرارة ، و ..

« المركبة الفضائية الصغيرة .. » .

هتف (نور) بالعبارة فى انفعال شديد ، وهو يحل حزام مقعده ، ثم اندفع نحو (نادية) ، مستطردًا :

ـ أسرعوا .. لدينا فرصة للنجاة .

هب (أكرم) يحل حزام مقعده بدوره ، ووثب يعاون الأمريكي على حل حزام مقعده ، والألماني يهتف :

ـ ماذا تعنى ؟! .. ماذا تعنى بالله عليك ؟!

دفعه (نور) أمامه ، وجذب (نادية) خلفه ، وهو يهتف :

ـ سنستقل المركبة الفضائية الصغيرة ، وننطلق بها خارج المكوك ، قبل أن يرتطم بالأرض .. أسرعوا .

أنعشت فكرته شيئًا من الأمل فى أعماقهم ، فانطلقوا يعدون بأقصى سرعتهم ، نحو قاع المكوك ، حيث توجد المركبة الفضائية الصغيرة ، وهتف (واتسن) ، وهو يلهث من فرط الانفعال :

ـ ولكن .. ولكن المركبة الصغيرة لن تسعنا جميعًا .. إنها معدة لحمل أربعة أفراد فحسب .

صاح به (نور) فى صرامة :

ـ سنتحشر داخلها يا رجل .. لن نترك أحدنا هنا .

وهتف (أكرم) ، وهو يدفع جثة (ناتاشا) خارج المركبة :

ـ كفوا عن طرح الأسئلة والاحتمالات أيها السادة .. الوقت يمضى فى سرعة .

كان المكوك يقترب من الكوكب أكثر وأكثر ، وسرعته تتزايد مع كل كيلو متر يقطعه ، وهم يقفزون داخل المركبة الفضائية الصغيرة ، ويتحشرون فيها فى صعوبة ، واحتل (نور) مقعد القيادة ، و(أوتو) يقول مرتجفًا :

ـ ولكن هناك ثقب فى زجاجها الأمامى ، بسبب رصاصة (أكرم) ، وتلك الدماء الـ ...

لم يكن (نور) قادرًا على احتمال المزيد ، مع الموقف شديد التعقيد ، والدماء التى تنزف من جرح كتفه ، وتكاد تغرق ذراعه كلها ، فقاطع (أوتو) فى حدة وصرامة :

ـ كفى .. كفى .

وفى نفس اللحظة ، التى أغلق فيها باب المركبة ، انبعث صوت الكمبيوتر ، فى ممر الإقلاع الصغير ، وهو يقول :

- عشر ثوان ويحدث الاصطدام بالأرض .. أجهزة التوجيه تالفة ، ولا توجد وسيلة لتفادى وقوع الكارثة .. تسع ثوان .. ثمانى ثوان .. سبع ثوان ..

وضغط (نور) أزرار تشغيل المركبة ..

وضغطها ..

وضغطها ....

ولكن المحرك الفضائى المحدود لم يستجب ..

وتواصل العد التنازلى ..

ست ثوان .. خمس ثوان ..

وصرخت (نادية) :

- لا .. لا تخذلينا الآن .. لا ..

وكأنما انطلقت الصرخة من أعماقها إلى أعماق المحرك مباشرة ..

وأشعلته ..

ودون أن يضيع ثانية واحدة ، دفع (نور) عصا القيادة إلى الأمام ، فانطلقت المركبة عبر ممر الإقلاع ، وانفتح أمامها باب الطوارئ ، والعد يتواصل :

ثلاث ثوان .. ثانيتان ..

وانطلقت المركبة الصغيرة خارج المكوك ..

انطلقت على ارتفاع متر واحد ، بأقصى سرعة تسمح به حمولتها ، فى مجال جاذبية طبيعى ، وهى المعدة للمناورة فى الفضاء ، حيث تبلغ الجاذبية حدها الأدنى ، ومال بها (نور) فى مهارة مدهشة ، متفاديا أطلالا قريبة ، ومتجاوزا إياها ، فى نفس الثانية التى ارتطم فيها المكوك بأطلال أخرى ضخمة ..

ودوى الانفجار ..

كان انفجارا قويا ، عنيفا ، دوى وسط تلك الأطلال ، وتناثرت معه شظايا عديدة ، مختلفة الأشكال والأحجام ، ارتطم بعضها بالمركبة الفضائية الصغيرة ، ودفعها أمامه فى عنف ، فصرخت (نادية) ، وشهق الآخرون ، وتشبث (نور) بعصا القيادة ، بكل ما يملك من قوة ومهارة ، محاولا تفادى الارتطام بأطلال أخرى ، وتحاشى الشظايا العديدة ، التى تنطلق فى كل اتجاه ، وبقايا الصخور ، المنهمرة من أعلى ..

ولكن هذا كان مستحيلا بحق ..

حتى بالنسبة لشخص فى مهارة (نور) ..

لقد عجزت المركبة الصغيرة عن الاستجابة لمناورته المعقدة ، فارتطم جانبها بجزء آخر من الأطلال ، ثم انحرفت بحركة حادة ، ومالت على جانبها على نحو

خطر مخيف ، واحتكت ببقايا جدار متهدم ، قبل أن تميل مقدمتها ، وتندفع نحو الأرض مباشرة .

وبكل قوته ، هتف (نور) :

ـ لقد فقدت سيطرتي عليها .. احترسوا ..

ومع آخر حروف هتافه ، ارتطمت المركبة الصغيرة بالأرض الصخرية ، ثم وثبت ككرة من المطاط ، وعادت ترتطم بالصخور ، ثم اندفعت فوقها لمترين أو ثلاثة ، وقاعها يحتك بأطراف الصخور ، وتنطلق منه شرارات قوية عنيفة ، قبل أن ترتطم بجدار آخر ، وتتوقف في عنف ..

وفي ألم ، هتف (واتسن) :

ـ إنني مصاب .. ضلعي تحطم .. إنني مصاب بشدة .

دفع (نور) باب المركبة ، التي اشتعل ذيلها بالنيران ، وهتف :

ـ احتمل يا رجل ، وأسرع معنا بمغادرة المركبة ، فمن الواضح أنها ستنفجر بعد قليل .

كانت (نادية) ترتجف في شدة ، ولكن (نور) جذبها من مكانها ، ودفعها خارج المركبة ، في نفس الوقت الذي جذب فيه (أكرم) (أوتو) من مقعده ، وهو يهتف :

ـ هيا أيها الألماني .. الوقت ليس في صالحنا .

ثم عاون (واتسن) على الخروج من المركبة ، وانطلق يعدو معه ، مبتعدين عنها ، مع (نور) ، و(خالد) و(نادية) ، و ...

ودوى انفجار جديد ..

انفجار أطاح بالمركبة الفضائية الصغيرة ، ودفع الستة أمامه لمتر تقريبا ، قبل أن يسقطوا وسط تلك الأطلال ..

وتأوهت (نادية) في ألم ، وهي تهتف :

ـ هل .. هل نجونا ؟!

ولكنها لم تتلق جوابا واحدا ، من الرجال الخمسة ..

ففي مثل موقفهم ، لم يكن أحدهم يدري بما يجيبها ..

لقد نجوا بالفعل من الموت داخل المكوك ، ولكنهم يقفون الآن وسط أطلال غريبة ، على سطح كوكب دموي ، في عالم ثائر عاصف مخيف !!

فكيف يكون الجواب ؟!..

كيف ؟!..

* * *

ران على الرجال الخمسة ورفيقتهم صمت رهيب ، وهم يحتمون بجزء بارز من تلك الأطلال القرمزية .

من بقايا الصخور المنهمرة من السماء ، والتى تتساقط بين الحين والآخر ، عندما يعجز الغلاف الجوى للكوكب الدموى عن التهامها كاملة ، وأطل من عيونهم مزيج من الرهبة والتوتر والقلق والضياع ، قبل أن يقطع (نور) حبل الصمت السميك ، قائلاً :

ـ هممم يا رفاق .. دعونا نعترف بالواقع .. لقد انتهى بنا الأمر فى هذا المكان ، ولابد وأن نبذل شيئاً من الجهد لنعرفه ، والبحث عن سبل العيش فيه .

ارتجف صوت (أوتو) ، وهو يقول :

ـ من الواضح أن هذا المكان يختلف تماماً عن أرضنا ، وحتى عن سطح القمر .. هذا العالم كله يختلف .. انظروا إلى السماء .. إلى تلك الصواعق والسحب ، التى تنتشر فى فضائه ، وخارج غلافه الجوى .. هذا أمر لا يمكن أن يحدث فى فضائنا ، فالصواعق والسحب لا يمكن أن تتواجد فى الفراغ(*) .

(*) حقيقة علمية . فالصواعق الوحيدة ، التى يمكن أن تحدث فى الفراغ ، تحتاج إلى قطبين متعارضين قويين ، لتفريغ الشحنة الاستاتيكية .

قال (نور) فى صرامة :

ـ إنه عالم عجيب بالنسبة لنا بالتأكيد ، ولكن هذا لا يعنى أن تبدأ علاقتنا به بالخوف والرهبة ، خاصة وأنه طبقاً للتقدير الأولى ، لا توجد لدينا وسيلة للخروج منه ، ومن المحتم أن نسعى للبحث عن أنواع صالحة من الطعام أو الشراب ، لضمان البقاء .

أطلق (واتسن) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

ـ البقاء ؟! .. أى بقاء أيها السادة ؟! .. من الواضح أنكم لم تستوعبوا بعد حقيقة الموقف .

قال له (أكرم) فى عصبية :

ـ وما حقيقته أيها العبقرى ؟!

أجابه (واتسن) فى حدة ، تفوح منها رائحة المرارة :

ـ هل تعتقدون أن تلك الفجوة قد جذبتنا إليها مصادفة ؟! هراء .. كل ما حدث يوحى بأنها موجودة ، منذ ذلك الانفجار اللعين ، وأن شدتها تتزايد مع مضى الوقت ، حتى أصبحت قادرة على ابتلاعنا .

وازدرد لعابه بصوت مسموع ، قبل أن يضيف فى عصبية :

- كمرحلة أولى ..

حدقت (نادية) في وجهه بارتياع ، وهي تتمتم بصوت مرتجف مذعور :

- مرحلة أولى ؟! ..

لوّح بذراعه كلها ، هاتفًا :

- بالتأكيد .. انظروا إلى تلك الكرة المتألقة في هذا الفضاء الثائر .. إنها الوجه الآخر لتلك الفجوة السوداء ، التي ابتلعتنا منذ ساعات قليلة .. وهذه الصخور والأحجار ، التي تتساقط بين الحين والحين ، ما هي إلا بقايا صخور القمر الضخمة ، التي تنتزعها قوة جذب الفجوة من سطح القمر ، وتجلبها إلى هذا العالم المخيف ، فتحترق في غلافه الجوي ، ويتبقى ما يتبقى من بعضها ، في حين يتبخر البعض الآخر ، مخلفًا تلك النقط المضيئة ، التي ترونها في السماء .. هل تعلمون ما الذي سيحدث ، عندما تتزايد قوة الجذب هذه أكثر وأكثر ؟!

أطل تساؤل قلق من عيونهم ، فاستطرد بفيض من المرارة :

- سيحين دور القمر .

ارتجفت أجسادهم من هول الفكرة ، وسأله (نور) في توتر شديد :

- أتعني أن تلك الفجوة ستصبح قادرة على ابتلاع القمر ؟!

هتف (والتسن) ، وهو يلوح بذراعيه في حدة :

- ليس هذا فحسب ، وإنما ستقذفه إلى هنا أيضًا .. إلى هذا الكوكب .

ثم أطلق ضحكة عصبية ، قبل أن يكمل :

- حاول أن تتخيل معي ذلك المشهد .. القمر كله يهوي عبر تلك الفجوة ، ثم ينقض على هذا الكوكب ، ويخترق غلافه الجوي كجبل من اللهب ، قبل أن يرتطم به ، بنفس السرعة المذهلة ، التي ارتطم به مكوكنا .. ما الذي تتوقع حدوثه في أمر كهذا .. كارثة بالطبع .. كارثة رهيبة .

وتأوه في ألم ، وهو يمسك موضع ضلعه المكسور ، ثم راح يسعل في شدة ، والجميع يحدقون فيه في صمت ، قبل أن يتجه إليه (نور) ، ويربت على كتفه في رفق ، قائلاً :

- اهدأ يا رجل .. اهدأ .. إنك تحتاج إلى قدر من الراحة .

قالها ، وهو يدفعه في حذر ، ليرقد أسفل ذلك البروز ، ولكن (واتسن) تابع في عصبية :

- وليت الأمر يقتصر على هذا .. القمر سيهوى ، ثم يمتد التأثير إلى الأرض .. أرضنا نفسها .

هتف (أوتو) مذعوراً :

- الأرض ؟ ..

وسأل (خالد) في توتر :

- هل تعتقد هذا حقاً ؟!

أجابه (واتسن) في انفعال :

- ولم لا ؟! .. لو واصلت تلك الفجـوة اتساعهـا ، وتضاعفت قوة جذبها ، فستلتهم الأرض أيضاً ، وبلا رحمة .

تبادل (نور) و(أكرم) نظرة شديدة التوتر ، وقفز إلى ذهنيهما بغتة خاطر واحد ..

لا يمكن أن يسمحا بحدوث هذا للأرض ..

أبداً ..

ولكن كيف ؟! »

كيف يمكنهما أن يتصديا لكارثة كهذه وحدهما ؟! ..

كيف ؟!

« كنت أعلم أنها النهاية .. » .

قطع (خالد) أفكارهما ، وهو ينطق هذه العبارة ، في إحباط شديد ، فالتفت إليه (أكرم) ، قائلاً في حدة وصرامة :

- لا تستسلم لليأس بهذه السرعة يا رجل .

أجابه (خالد) في انهيار :

- ألم تسمع ما قاله ؟! .. القمر سينهار .. أليست هذه إحدى علامات الساعة ؟! .. أن ينشق القمر وينهار (*) ؟! .. لن ننجو أبداً .. إنه يوم الساعة ..

قال (نور) في حزم :

- الله (سبحانه وتعالى) وحده عنده علم الساعة يا رجل ، ولا أحد من خلقه يعلم متى أو كيف تأتي .. إننا نواجه كارثة فحسب ، وعلينا أن نبذل قصارى جهدنا لمواجهتها ومقاومتها ، لو أمكننا هذا .

هزّ (خالد) رأسه في يأس ، قائلاً :

(*) القرآن الكريم ، الآية الأولى من سورة (القمر) : بسم الله الرحمن الرحيم « اقتربت الساعة وانشق القمر » صدق الله العظيم .

- وبم تفيد المقاومة ؟!.. إنه يوم الساعة ولا ريب .

أجابه (نور) صارمًا :

- لا يمكننا كبشر أن نجزم بأمر جلل كهذا . يدخل فى حدود قدرة الخالق (عز وجل) وحده .. وحتى لو كان كذلك ، فتذكر أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) قد أمرنا بأنه إذا جاء يوم الساعة ، وكانت فى يد أحدنا فسيلة فليزرعها .. أليس كذلك ؟!.. دعنا نفعل إذن ما أمرنا به رسولنا الكريم ، وألا نستسلم لليأس أبدًا ، وأن نتشبث دومًا بالأمل .

تنهد (أوتو) قائلاً :

- كم أتمنى أن أتحلى بنصف ما تتحلى به من تفاؤل وإيمان أيها القائد (نور) ، ولكننى فى الواقع أشارك (خالد) يأسه وإحباطه ، بالإضافة إلى أننى أشعر بإجهاد شديد ، منذ وصلنا إلى هذا العالم المخيف .

استلقت (نادية) على الصخور ، وأسبلت جفنيها ، قائلة :

- وأنا أيضًا .. أكاد أسقط فاقدة الوعى ، من فرط الإجهاد .

قال (نور) بحزم القائد :

- فليكن .. من الواضح أن الجميع يحتاجون إلى قدر من الراحة .. اخلدوا إلى النوم قليلاً إذن ، مع تبادل نوبات الحراسة ، وسأذهب مع (أكرم) لتفقد المكان ، والبحث عن مصدر يصلح للشرب أو الغذاء .

سأله (أوتو) فى عصبية :

- كيف تضمن أنكما لن تضلا طريق العودة إلينا ؟!

انتزع (نور) من حزامه أنبوبة أسطوانية صغيرة ، ناوله إياها ، قائلاً :

- هذا جهاز إشارة للطوارئ ، والضغط على ذلك الزر فى قاعدته سيجعله يطلق حزمة من الضوء الأخضر المتألق .. امنحنا ساعة واحدة ، ثم أطلقه كل عشر دقائق فى السماء ؛ لترشدنا إلى طريق العودة .

تنهد (أوتو) ، والتقط الأنبوبة ، قائلاً :

- هذا يعنى أننى سأتولى نوبة الحراسة الأولى .

أجابه (نور) فى حزم :

- بالضبط .

ثم التفت إلى (نادية) ، التى استغرقت فى نوم عميق بالفعل ، مستطردًا :

- المهم ألا تغادرا هذا المكان ، حتى نعود إليكم .

ابتسم (واتسن) في إرهاق ، وربت برفق على كتفه المكسور ، وهو يتمتم :

- اطمئن .. لن يمكننا الذهاب بعيداً .

أما (أوتو) ، فقال في قلق شديد :

- انتبها جيداً ، وخذا حذركما مع كل خطوة .. إننا مازلنا نجهل طبيعة هذا العالم المخيف ، ولا مصير أولئك الذين سكنوا هذه الأطلال قديماً .

تنهد (تور) ، وهو يومئ برأسه في صمت ، في حين غمغم (أكرم) في توتر واضح :

- سنبذل قصارى جهدنا .

ودون تبادل كلمة إضافية ، بدأ الاثنان رحلتهما ، عبر تلك الأطلال القرمزية الرهيبة ، وتابعهما (خالد) ببصره في أسى ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغماً في إحباط :

- لا أمل .. إنها النهاية .

بلغت عبارته مسامعهما ، ولكنها لم تفت من عضدهما ، وإنما واصلا طريقهما ، حتى غابا داخل أطلال ذلك العالم الدموي ، الذي ألقتهم فيه تلك الفجوة السوداء المخيفة ..

وبلا عودة ..

* * *

« هل تصدق قصة يوم الساعة هذه ؟! .. » .

نطق (أكرم) العبارة ، وهو يفحص مسدسه التقليدي في عناية ، في أثناء سيره إلى جوار (تور) ، داخل تلك الأطلال القرمزية المخيفة ، فهز هذا الأخير رأسه نفياً ، وهو يقول :

- إنه رد فعل معتاد ، في مثل هذه الظروف ، يطلق عليه اسم أعراض ما بعد الكوارث ، وهو أمر ليس بجديد ، فقد أصاب العديدين ، في مختلف أنحاء العالم ، بعد كل كارثة ضخمة .. زلازل (اليابان) و(لوس انجلوس) ، وبركان (فيزوف) ، وفيضانات (آسيا) ، والسيول الأفريقية .. في كل مرة يصاب الملايين بذعر هائل ، ويتصورون أن ما يحدث هو مقدمة ليوم الساعة(*) .. المساكين لا يدركون أن هذه الكوارث ، على الرغم من عنفها وقسوتها ، ليست سوى لمسات رقيقة ، بالنسبة لأهوال يوم القيامة ، كما وصفها القرآن الكريم وأشارت إليها بعض الأحاديث النبوية .

تنهد (أكرم) ، وقال ، وهو يعيد مسدسه إلى حزامه :

(*) حقيقة .

- تلتمس لهم العذر يا (نـور) .. إنــه الضعف البشري الطبيعي .

أجابه (نور) في سرعة :

- بالتأكيد .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة ، وهو يستدرك :

- ولكن قولك هذا يثير دهشتي بالفعل يا (أكرم) .. لقد بدأت تؤمن فجأة بـالضعف البشـري ، والقصـور الإنساني .

مطّ (أكرم) شفتيه ، قائلاً :

- إنني أومن دومًا بضعف البشر .

ثم استدرك في سرعة :

- الآخرين .

اتسعت ابتسامة (نور) ، وهو يقول :

- آه .. هذا هو (أكرم) الذي أعرفه .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وعاد يمط شفتيه ، قائلاً :

- لولا ضعف الآخرين ، لما شعر المرء بقوته .

أشار (نور) بسبابته ، قائلاً في حزم :

- حذار أن تغترّ بقوتك يا (أكرم) ، فكلنـا ضعفاء أمام الله (سبحانه وتعالى)

خفض (أكرم) عينيه ، مغمغمًا :

- ونعم بالله .

ثم انعقد حاجباه في شدة ، وتوقف عن السير ، ثم انحنى يزيح الرمال عن جزء من الأرض ، قائلاً في انفعال :

- انظر يا (نور) .. أولئك الذين سكنوا هذه الأطلال كانت لديهم عربات تسير على قضبان .

انحنى (نور) بدوره ، يفحص ذلك القضيب المنفرد ، الممتد فوق الأرض ، قبل أن يقول في اهتمام شديد :

- إنــه ليس قضيبـًا عاديـًا يا (أكـرم) ، فالعربات التقليدية تحتـاج إلـى زوج مـن القضبـان ، وليس إلـى قضيب منفرد كهذا .

ثم أشار إلى شريط من مادة نصف شفافة ، في قاعدة القضيب ، مستطردًا :

- انظـر .. هذه المادة تشبـه تلك التي استخدمهـا اليابانيون ، عندما صنعوا أول قطاراتهم المغنطيسية ، التي تنطلق بسرعة خرافية ، بسبب قوة الدفع بين الأقطاب المتشابهة المتنافرة .

واعتدل يدير عينيه فيما حوله ، متابعًا :

- من الواضح أن هؤلاء القوم كانوا متطورين للغاية ، أكثر مما توحي به أطلالهم .

أدار (أكرم) عينيه فى الأطلال القرمزية ثانية ، قبل أن يقول :

- هل تعلم يا (نور) .. لولا ذلك اللون القرمزى ، لبدت تلك الأطلال قريبة الشبه بأطلال (القاهرة) القديمة ، التى واجهنا الموت فيها معا ، ونحن نطارد ذلك الوحش ، الذى صنعته هندسة الوراثة (*) .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، مغمغما :

- هذا صحيح ، ويقودنا إلى مجموعة من الحقائق ، ربما تفيدنا فيما بعد .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- مثل ماذا ؟!

أشار (نور) إلى الأطلال ، مجيبا :

- أن أصحاب تلك الأطلال لا يختلفون عنا كثيرا فى الحجم .. ربما كانوا أطول قامة .. أو أنهم يميلون إلى الأسقف المرتفعة ، ثم إن حضارتهم قريبة الشبه بحضارتنا إلى حد كبير .. أو هكذا كانت على الأقل ، فمنازلهم كانت لها أبواب ، ونوافذ ، وجدرانهم مصنوعة من الأحجار ، والصخور الطبيعية .

(*) راجع قصة (الحرباء) .. المغامرة رقم (١٠١) .

قال (أكرم) :

- ولكن هناك بعض المواد الغريبة ، كهذه الكتلة البرتقالية مثلا .. إنها تبدو لى أشبه بـ ..

قاطعه (نور) هاتفا :

- لا .. لا تلمسها يا (أكرم) .

ولكن صيحته جاءت بعد فوات الأوان ..

فما إن اقتربت يد (أكرم) من تلك الكتلة البرتقالية ، حتى دبت فيها الحياة فجأة ، وانفردت بغتة ، وتحولت إلى وحش أشبه بالثعبان ..

وحش هائل ، له قرن حاد فى منتصف جبهته ، وفم ضخم ، انقضّ على (أكرم) مباشرة ، و ..

وأطبق على عنقه بلا رحمة .

* * *





وحش هائل ، له قرن حاد في منتصف جبهته ، وفم ضخم ، انقضّ على (أكرم) مباشرة ، و .

٢ ـ الخطر الدموي ..

التقط (واتسن) نفسًا عميقًا ، امتلأ به صدره ، قبل أن يخرجه في زفرة طويلة ، انتهت بسعال حاد ، وهو يقول :

ـ لا يمكنني النوم ، على الرغم من الإجهاد الشديد الذي أشعر به .

فتح (خالد) عينيه في صعوبة ، وغمغم :

ـ لا فائدة .. النوم لن يمنع القدر .

أما (أوتو) ، فتمدد في قوة ، وقبض أصابعه ، وهو يقول في إرهاق :

ـ أنا أيضًا لا يمكنني النوم ، فالتوتر الذي أشعر به يمنعني حتى من الجلوس في موضعي ، للقيام بنوبة الحراسة الأولى ، وأكاد أحترق لهفة لمرور تلك الساعة ، التي حددها القائد (نور) ، حتى أطلق إشارة العودة .

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

ـ ولكن مهمة (نور) و(أكرم) شديدة الأهمية يا رجل ، فلن يمكننا العيش هنا ، دون طعام أو شراب .

وافقه (أوتو) ، وقال :

- بالتأكيد .. إنني أشعر بالجوع والعطش فعلاً .

قال (خالد) في مرارة :

- لا داعي لأن يقلقكما هذا . فحياتنا هنا لن تطول .

تطلعا إليه في صمت متوتر . ثم نهض (أوتو) ، وتطلع إلى السماء بضع لحظات . قبل أن يسأل (واتسن) :

- هل تؤمن حقاً بنظرية النهاية المحتومة هذه ؟!

أجابه (واتسن) في أسى :

- استخدم عقليتك العلمية يا رجل . وستجد داخلك جواب السؤال .. إنه التفسير العلمي المنطقي الوحيد لما حدث ..

تعلقت عينا (أوتو) بتلك البقعة المضيئة في الفضاء ، وهو يغمغم :

- رباه ! .. أما من سبيل للخلاص ؟!

أجابه (خالد) :

- الموت .. الموت هو السبيل الوحيد للخلاص من كل هذا .

استدار إليه (أوتو) في حدة ، هاتفاً :

- ماذا دهاك يا رجل ؟! .. انفض عنك روح اليأس هذه ، وعد إلى عالم الأمل والواقع .

تنهد (خالد) في أسف ، قائلاً :

- وما الفائدة ؟!

انعقد حاجبا (أوتو) في غضب ، وصاح به :

- كفى يا رجل .. إنك تبث فينا روح الـ ...

قبل أن يتم عبارته ، صاح (واتسن) بغتة في ذعر :

- رباه ! .. احترس يا رجل ..

استدار (أوتو) بسرعة إلى حيث يشير (واتسن) ، وانطلقت من حلقه شهقة ذعر قوية ، ارتجف لها جسد كله ، وهو يحدق في صخرة في ضعف حجم كرة سلة . تهوى من السماء ، نحو رأسه مباشرة ..

وهنا حدث أمر مدهش للغاية ..

أمر يشف عن المعدن الأصيل لـ (خالد) ..

لقد كان يرقد يائساً محبطاً . تحت ذلك البروز الصخري ، يجتر مرارته وحزنه ، ولكنه لم يكد يلمح تلك الصخرة ، وهي تنقض على (أوتو) ، حتى انتزع نفسه من كل مشاعره وانفعالاته ، ووثب من مكانه كالليث ، ودفع الألماني أمامه في قوة ؛ لينقذه من الصخرة ، التي تجاوزت رأسه ، واندفعت لترتطم بجدار آخر من تلك الأطلال ، إلى جوار ذلك الذي يحتمون به مباشرة ..

وتهاوى ذلك الجدار الأخير بدوى عنيف ، انتزع (نادية) من رقادها ، فصرخت فى رعب :

- ماذا حدث ؟! .. ماذا حدث ؟! ..

ثم حدقت فى ذلك الموضع ، الذى انكشف بانهيار الجدار ، وانتفض جسدها فى عنف قبل أن تنطلق من أعماقها صرخة رعب هائلة .

صرخة ارتج لها كل ركن فى ذلك الكوكب المخيف .. الكوكب الدموى ..

* * *

ثم يكد ذلك الوحش البرتقالى ، الشبيه بالثعبان ، ينقض على (أكرم) ، ويطبق بفكيه على عنقه ، حتى استل (نور) مسدسه الليزرى ، وصوبه إليه ، هاتفا :

- ابعد رأسك يا (أكرم) .. سأنسف ذلك الشىء .

صاح به (أكرم) فى ألم ، وهو يقبض بأصابعه القوية على عنق الوحش ، ويحاول جذبه بعيدا عن عنقه :

أسرع بالله عليك يا (نور) .. أسرع .. ذلك الوغد يكاد يعتصر عنقى بلا رحمة ..

صوب (نور) مسدسه الليزرى إلى رأس الوحش فى إحكام ، على الرغم من الحركات العنيفة ، التى يقوم

بها (أكرم) ، محاولا منعه من اعتصار عنقه بفكيه القويين ، واستعاد ذهنه تدريبات الرماية ، التى يمارسها فى قاعة التدريبات الخاصة ، فى قلب مبنى المخابرات العلمية ، عندما يكون عليه أن ينسف كرة صغيرة ، تتراقص فوق وسادة رقيقة متحركة من الإسفنج ، دون أن يخدش الوسادة ، و ..

وأطلق (نور) أشعته ..

وعلى الرغم من تلك القفزة الحادة ، التى قفزها ذيل الوحش البرتقالى ؛ ليضرب صدر (أكرم) ، ورد فعل هذا الأخير ، إلا أن أشعة (نور) أصابت هدفها بمنتهى الدقة ..

ثم انعكست عنه فى عنف ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ..

ها هوذا يواجه واحدا من أصعب المواقف فى حياته .

وحش مجهول ، فى أرض مخيفة ، يكاد يقتل رفيقه أمام عينيه ، وسلاحه عاجز عن إصابته ..

وفى غضب ، أعاد (نور) مسدسه إلى حزامه ، ثم اندفع نحو الوحش ، وجذب ذيله فى قوة ، صارخا :

- اتركه أيها الوغد .. اتركه .

احتقن وجه (أكرم) فى قوة ، وجحظت عيناه فى ألم ، عندما زاد الوحش من ضغط فكيه على عنقه ، وهتف بصوت متحشرج مختنق :

ـ اللعنة ! .. إنه يقتلنى يا (نور) .

لم يدر (نور) ماذا يفعل ، إزاء ذلك الموقف المعقد ، وراح يهتف فى مرارة :

ـ ساعدنا يا إلهى ! .. ساعدنا .

انتزع (أكرم) مسدسه من حزامه ، ورفعه ليلصقه برقبة الوحش من أسفل ، وهو يقول بصوت يكاد يتلاشى ، من فرط الاختناق :

ـ كفى أيها الوغد .. كفى .

وضغط زناد مسدسه ثلاث مرات ..

ووسط الأطلال القرمزية ، دوى صوت الرصاصات الثلاث ، وانقطع عنق الوحش ، وتفجرت منه مادة أشبه بالحبر الأزرق ، تناثرت على وجه (أكرم) وثيابه ، فصرخ بصوته المختنق المكتوم :

ـ رباه ! .. إنها ساخنة للغاية .

وسقط جسم الوحش وذيله ، وراحا يترقصان ويتقافزان وسط الصخور ، والمادة الخضراء تتناثر منهما فى عنف ، كما لو أنهما يموجان بالحياة والنشاط .

فى حين ظل الرأس يحيط بعنق (أكرم) ، ويضغط بفكيه عليه فى قسوة ..

واندفع (نور) نحو (أكرم) ، وأمسك الفكين بأصابع يديه ، وراح يجذبهما إلى الخارج بكل قوته ، وهما يقاومانه فى عنف وشراسة ، كما لو أن حيويتهما قد تضاعفت ، مع فصل الرأس عن الجسد ..

وجحظت عينا (أكرم) أكثر وأكثر ، وسقط أرضا ، وزرقة باهتة تنتشر فى وجهه وجسده ، فصاح به (نور) :

ـ لا تستسلم يا (أكرم) .. قاوم يا رجل .. قاوم .

ومع مرأى مظاهر الموت ، التى راحت تزحف على وجه رفيقه رويدا رويدا ، انقبضت عضلات ذراعى وساعدى (نور) أكثر وأكثر ، وهتف من أعمق أعماق إيمانه :

ـ ساعدنى يا إلهى !

ومع هتافه ، انهارت مقاومة الفكين بغتة ، وتباعدا عن عنق (أكرم) ، وكأنما فارقتهما الحياة دفعة واحدة ، ودفع (نور) الرأس بعيدا ، ثم راح يهز (أكرم) فى شدة ، هاتفا :

ـ زال الخطر يا رجل .. هيا .. استعد نشاطك .. هيا .

ولكن جسد (أكرم) استقر أرضا ، ساكنا ، صامتا ،

جامدا . وعيناه الجاحظتان تحدقان في السماء كجمرتين جامدتين . وكأنما فارقته روحه ، وصعدت إلى بارئها .

وفي انفعال ولهفة ، كشف (نور) صدر (أكرم) ، وراح يضغط موقع قلبه بكفيه في قوة ، هاتفا :

ـ لا ترحل سريعا يا (أكرم) .. قاوم يا رجل .. قاوم .. لا ترحل .

واصل ضغطاته لدقيقة كاملة ، دون أدنى استجابة من جسد (أكرم) ، فصاح :

ـ لا .. ليس أنت .. ليس هنا .

وهوى بقبضته على صدر (أكرم) في عنف ..

وهنا أطلق (أكرم) شهقة قوية ..

ثم التقط نفسا عميقا ، وراح يسعل بشدة ، فهتف (نور) :

ـ حمدًا لله .. حمدًا لله .

أغلق (أكرم) عينيه في ألم ، ورفع يده يتحسس عنقه ، وهو يتمتم :

ـ رباه ! .. ذلك الوغد كاد يظفر بي بالفعل .

أطلق (نور) ضحكة تموج بالفرح والانفعال ، وهو يقول :

فلنحمد الله (سبحانه وتعالى) على أنه لم ينجح في هذا .

ثم ربت على كتف رفيقه ، وعاونه على النهوض ، مستطردًا :

ـ حمدًا لله على سلامتك يا صديقي .

نهض (أكرم) ، وتطلع إلى جسم وذيل ذلك الوحش ، اللذين لم تهمد حركتهما بعد ، وغمغم :

ـ يمكنك أن تقول : إننا عثرنا على نوع من الحياة هنا يا (نور) ، وهذه نقطة إيجابية على الأقل .

أومأ (نور) برأسه موافقا ، وقال :

ـ هذا صحيح ، ووجودها هنا يعني الكثير بالتأكيد .

تحسس (أكرم) عنقه ثانية ، وهو يسأل :

ـ مثل ماذا يا قائدنا العبقري ؟

أشار (نور) إلى رأس الوحش ، قائلاً :

ـ لو أنك فحصت ذلك الرأس ، للاحظت أن فكيه معدان بحيث يمكنهما الإحاطة بالعنق تماما ، في استدارة شبه كاملة ، ومن الواضح أن هذه هي طريقة هذا الحيوان ، في القضاء على فريسته ، قبل التهامها ، أو الحصول على الغذاء منها بوسيلة ما ، وهذا يعني أن الفرائس نفسها مازالت تحيا في الجوار .

ردد (أكرم) متوترًا :

ـ الفرائس ؟!

أجابه (نور) :

- نعم .. مظهر آخر من مظاهر الحياة ، البدائية أو العاقلة . تتميز بعنق كبير ، أعدت الطبيعة فكي هذا الوحش للإطباق عليه ، وهو يتواجد في هذه المنطقة أو حولها حتمًا ، وإلا لما كان لوجود هذا الوحش البرتقالي معنى ، فهو لن يعيش على التهام الصخور أو الأطلال .

بدا الاستنتاج منطقيًا للغاية ، حتى إن (أكرم) راح يتلفت حوله ، مغمغمًا في قلق متوتر :

- أتظنهم ألا تكون تلك الفرائس من النوع الذي يلترس مظاهر الحياة الأخرى .

هزّ (نور) كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!

ثم استطرد في اهتمام :

- ولكن الناحية الإيجابية في هذا الأمر ، هي أن كل مظاهر الحياة تحتاج في وجودها إلى الماء ، كما قال الله (سبحانه وتعالى) ، في كتابه العزيز (*) ، وهذا يعنى أنه هناك مصدر قريب للماء .

(*) القرآن الكريم ، الآية الثلاثون ، من سورة (الأنبياء) :
بسم الله الرحمن الرحيم : « وجعلنا من الماء كل شيء حي » .
صدق الله العظيم .

تنهد (أكرم) ، قائلاً :

- أتعشم هذا ، فأنا أكاد أهلك عطشًا .

ثم التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يستدرك في اهتمام :

- وبالمناسبة يا (نور) ، هل تشعر بالفعل بذلك الإجهاد ، الذي يشعر به الجميع ؟! ..

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وقال :

- نعم ، ولست أجد له تفسيرًا ، خاصة وأن نسبة الأكسجين في هواء هذا الكوكب تقترب كثيرًا من نسبته في هواء الأرض .

سأله (أكرم) ، وهو ينحني ليلتقط مسدسه ، ويعيده إلى حزامه :

- أتعتقد أنه هناك عامل آخر ، سبب لنا جميعًا هذا الإجهاد غير الطبيعي ؟!

أجابه (نور) :

- بكل تأكيد ، وإلا ما أصابنا جميعًا دون استثناء .. ربما كان نوعًا غير معروف من الغازات ، يوجد في هواء الكوكب بنسبة ما ، لا تؤثر على تنفسنا الطبيعي ، ولكنها تُجهد خلايانا ، أو ..

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وهو

يلتفت جانبه بحركة حادة . فاستل (أكرم) مسدسه في سرعة ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

انتزع (نور) مسدسه الليزري من حزامه بدوره ، وهو يتجه في حذر ، نحو بقايا مبنى قريب ، قائلاً :

ـ لست أدري .. خيّل إليّ أنني لمحت شيئًا ما يعدو ، ويختبئ خلف هذه الأطلال هناك .

سأله (أكرم) ، وهو يتجه نحو الأطلال نفسها :

ـ شيئًا مثل ماذا ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وهو يقفز نحو تلك الأطلال ، ويدور حولها ، مصوّبًا مسدسه إلى ما خلفها ، و ..

وتراجع في حركة حادة ، جعلت (أكرم) يقفز إليه بدوره ، هاتفًا :

ـ هل وجدته ؟

ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه بدوره في توتر ، وهو يتطلع معه إلى حيوان ضخم ، يكسوه فراء كثيف كالدب ، ويقف على أربع ، في ركن الأطلال ، محدقًا فيهما بعينين حمراوين كالدم ..

وفي توتر ، قال (أكرم) :

ـ ما هذا بالضبط ؟! .. إحدى سلالات الدببة ؟!(*) .

ولم يكد ينطقها ، حتى انطلقت من حلق حيوان الفراء هذا زمجرة وحشية مخيفة ، ثم نهض واقفًا ، تمامًا كما تفعل الدببة ..

ومع وقفته ، اتسعت عينا (نور) و(أكرم) ، وتراجعا بحركة حادة ، وكل منهما يصوّب إليه مسدسه في تحفّز ..

فقد بدا ذلك الحيوان عملاقًا على نحو مخيف ، بطول يتجاوز الأمتار الثلاثة ببضعة سنتيمترات ..

وفي عصبية ، هتف (أكرم) :

ـ دعنا نقتله يا (نور) .

وما إن تجاوزت العبارة شفتيه ، حتى أتى ذلك الحيوان فعلاً تفجّرت له دهشتهما معًا ..

وحتى أقصى حد ..

* * *

(*) الدب : حيوان ثديي من الفصيلة الدبية ، رتبة اللحوم ، يستوطن نصف الكرة الشمالي ، فراؤه سميك أشعث ، وذيله قصير ، وبعض أنواعه سريعة العدو ، والبعض الآخر يمكنه تسلّق الأشجار ، يتغذى على الثمار والحشرات والأسماك والجيف ، ونادرًا ما تأكل اللحوم والثدييات الأخرى .

تجمدت الدماء فى عروق (نادية) ، وهى تحدق فى رعب هائل ، فى ذلك الشىء ، الذى ظهر خلف الجدار ، الذى أسقطته الصخرة ، فى حين هتف (أوتو) :

- يا إلهى ! .. هذا مستحيل ! .. مستحيل !

أما (واتسن) ، فقد اتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى كادتا تقفزان من محجريهما ، وهو يحدق فى هيكل عظمى كامل ، له تكوين بشرى تماما ، باستثناء حجمه ، الذى يفوق حجم كبار الرياضيين الأرضيين ، بحيث تكاد تدرك من النظرة الأولى ، وعلى الرغم من الوضع الذى اتخذه ، جالسا على الأرض ، ومستندا إلى الجدار المقابل ، أن طوله لا يقل عن المترين وعشرة سنتيمترات على الأقل ..

وبصوت مرتجف ، غمغم (خالد) :

- إنه ليس بشريًا بالتأكيد .

قال (أوتو) فى انفعال :

- ولكنه يشبه البشر على نحو مدهش .

واقترب من الهيكل فى حذر ، وانحنى يفحصه ، مكملا :

- يبدو أن هذه المنطقة قد تعرضت لزلزال بالغ العنف ، أو لقصف مركز ، فجمجمة هذا الشخص

تحطمت من مؤخرتها ، بسبب ارتطامه بالجدار ، أو سقوط جزء من السقف عليه على الأرجح .. ولو طبقنا على هذا الهيكل العوامل نفسها ، التى يتم تطبيقها على الهياكل البشرية ، فهو هيكل لذكر ، تجاوز الثلاثين من العمر بعام أو عامين ، لديه كسر قديم فى ساعده الأيسر ، وتجويف بأحد أضراسه العلوية .

تحسس (واتسن) ضلعه المكسور ، وكأنما يضاعف الانفعال آلامه ، وهو يقول :

- المهم هو كم عمر الهيكل نفسه .

غمغم (أوتو) :

- لو أنك تقصد الفترة التى مرت على وفاة صاحبه ، فالجواب هو أنها ليست بالفترة الطويلة .. هذا الهيكل عمره يزيد قليلاً عن العامين .

هتفت (نادية) فى ذعر :

- فقط ؟!

ثم تلفتت حولها فى ارتياع ، مستطردة :

- هذا يعنى أنه ربما كان هناك آخرون .

حدّق (خالد) فى الهيكل لحظة ، ثم قال :

- الفكرة ليست مرفوضة أو مستحيلة ، فى ظل هذه الظروف .

تبادل (أوتو) و(واتسن) نظرة صامتة ، ثم قال الأول :

- ربما .. وربما لا .

سأله (خالد) :

- وما الذى يمنع وجود آخرين ، على قيد الحياة ؟!

أجابه (أوتو) :

- لا يوجد ما يمنع هذا ، ولا ما يؤيده أيضًا ، ولكن وجود هذه الأطلال المهجورة ، والهيكل العظمى الملقى على هذا النحو ، ربما تعنى أن الحياة على هذا الكوكب قد انتهت منذ فترة قصيرة بسبب ما .

سألته (نادية) :

- سبب مثل ماذا ؟!

هزّ (واتسن) كتفيه ، قائلاً :

- حرب شاملة مثلاً ، أو شىء من هذا القبيل .

تراجعت (نادية) ، مغمغمة فى توتر بالغ :

- هذا يضاعف شعورى بالقلق والخوف ، فلو أن الحياة قد أبيدت هنا ، لسبب أو آخر ، فهذا قد يعنى أنه لم تعد هناك سبل للعيش فى المنطقة أو حولها .

اتسعت عينا (خالد) وهو يقول :

- رباه .. أتعنين أنه من المحتمل أن نموت جوعًا وعطشًا هنا ؟!

ارتجف صوتها ، وهى تجيب :

- من يدرى ؟!

قالتها ، وهى تتراجع بجسدها ، وتستند إلى الجدار ، و ...

« رباه ! .. » ..

انتفض جسدها فى عنف ، وهى تهتف بالكلمة ، وتنفصل بحركة حادة ، مبتعدة عن الجدار ، كما لو أن ملامسته قد أصابتها بصدمة كهربية ، فوثب (أوتو) من مكانه مذعورًا ، وتراجع (خالد) بحركة غريزية ، فى حين صاح (واتسن) ، وهو يمسك موضع الضلع المكسور ، ويلهث فى انفعال :

- ماذا أصابك بالله عليك ؟

حدقت فى الجدار فى رعب ، وهى تغمغم :

- مستحيل ! .. مستحيل !!

تطلع (أوتو) فى الجدار بدهشة ، وهى يسأل فى حدة :

- ماذا هناك ؟!

مدت يدها فى حذر متردد ، وألصقتها بالجدار لحظة ، ثم لم تلبث أن استعادتها فى عنف ، فصاح (خالد) غاضبًا :

- لا تعبثي بأعصابنا يا فتاة .. لن نحتمل هذا .. أخبرينا ماذا يحدث بالله عليك .

ارتجفت الكلمات على شفتيها ، وهي تجيب في خوف واضح :

- الصوت .. الصوت ينتقل عبر المواد الصلبة ، ولقد دربوني على تمييز الأصوات ، عن طريق ملامسة المواد .

سألها (واتسن) في انفعال :

- هل ميّزت صوتًا ما ، في هذا الجدار ؟!

أومأت برأسها إيجابًا ، وأشارت بيدها إلى ما خلف الجدار ، مجيبة :

- نعم .. صوت يأتي من هناك .. من مسافة خمسة كيلو مترات تقريبًا .

سألها (أوتو) في لهفة :

- وأي صوت هذا ؟!

ازدردت لعابها في صعوبة ، وهي تتمتم :

- وقع حوافر جياد .

وقع جوابها على رءوسهم كالصاعقة ، فحدقوا في وجهها بذهول ، استمر ما يقرب من نصف دقيقة كاملة ، قبل أن يهتف (خالد) :

- جياد ؟! .. هنا ؟! .. مستحيل !

لمست (نادية) الجدار ثانية ، وهي ترتجف بشدة ، وقالت :

- إنها تقترب بسرعة .

تبادل الثلاثة نظرات شديدة التوتر ، وقال (أوتو) :

- أأنت واثقة يا (نادية) ؟

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا في ذعر ، فتبادلوا نظرة حائرة أخرى ، وغمغم (خالد) :

- هل تصدقون وجود جياد هنا ، في هذا العالم العجيب ؟!

أشار إليه (أوتو) ، قائلاً :

- أنت قلتها .. إنه عالم عجيب ، وكل شيء يحتمل حدوثه ، أو وجوده فيه .

سأله (خالد) :

- حتى الجياد ؟!

أومأ (أوتو) برأسه إيجابًا ، وقال :

- حتى الجياد .

انكمشت (نادية) أكثر وأكثر ، حتى كاد جسدها الضئيل يختفي داخل تجويف محدود وسط الأطلال ، وهي تقول مذعورة :

- إنها تقترب أكثر .

انعقد حاجبا (خالد) في شدة ، وهو يحاول هضم تلك الفكرة ، ثم لم يلبث أن استل مسدسه الليزري من حزامه ، وقال :

- فليكن .. دعيها تقترب .. فليكن وجود هذه الجياد البرية منطقيًا أو غير منطقي ، ولكنها بالنسبة لي ليست سوى نوع من الغذاء ، يأتي إلينا بقوائمه .

ابتسم (واتسن) في سخرية ، قائلاً :

- أراك قد نبذت فكرة يوم الساعة القريب ، عندما صرخت معدتك جوعًا ، فتذكرك بأنك لا تزال على قيد الحياة .

أجابه (خالد) في صرامة :

- يوم الساعة آت لا ريب يا رجل .. هذا ركن أساسي في عقيدتنا ، والمؤمن الحق لا يعنيه متى تحين الساعة ، فهو مستعد للقاء ربه في أية لحظة .

هتف (أوتو) :

- رائع .. تحمل مدهش في معنوياتك وإرادتك يا رجل .

« إنها ليست برية .. » .

قطعت (نادية) ، حديثهم ، وهي تنطلق العبارة بصوت مرتجف ، فالتفتوا إليها في آن واحد ، وبدا لهم أن الأطلال تكاد تحجب جسدها عنهم تمامًا ، وهي تنكمش داخل ذلك التجويف ، فقال (واتسن) :

- عفوًا .

كررت في عصبية :

- تلك الجياد ليست برية .

ارتفع حاجبا (خالد) في دهشة ، وهو يقول :

- ماذا تعنين ؟!

أجابته في توتر شديد :

- وقع الحوافر الذي أسمعه ، يمتزج برنين معدني غريب ، وهذا لا يمكن أن يحدث ، إلا مع إضافة حدوات للجياد (*) بوسيلة صناعية .

انعقدت حواجبهم في توتر شديد ، وقال (أوتو) في قلق :

- أتعنين أن تلك الجياد لا تقترب وحدها ، وأن هناك من يقودها أو يمتطيها مثلاً ؟!

(*) الحدوة : قطعة من المعدن تصنع بشكل حرف (U) ، توضع في حوافر الجياد ، حتى تقيها التآكل والإصابات ، عند العدو في مناطق وعرة .

أومأت برأسها إيجابًا في شحوب ، على نحو جعل ثلاثتهم يتبادلون نظرة مفعمة بالخوف ، قبل أن يقول (خالد) في عصبية :

- أكاد أجزم أنها مخطئة .. أراهن أن الانفعال ، الذي أصابها على القمر ، قد أفقدها شيئًا من قدراتها ، كما أتلف مخ رفيقها .. سأصعد إلى تلك الأطلال القريبة ، وألقي نظرة على المكان الذي تشير إليه .

قالت في رعب :

- لا .. لا تفعل .. لقد اقتربوا كثيرًا .

تجاهل (خالد) قولها ، وهو يثب إلى الأطلال القريبة ، ويعتليها في رشاقة ، و ..

وفجأة ، انتفض جسده كله في عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، حتى كادتا تنفجران وسط جمجمته ..

فهناك ، أمام عينيه مباشرة ، وعلى مسافة لا تزيد عن الأمتار الخمسة ، كان يقف جواد ضخم ، أصفر اللون ، له صدر قوي ، وبطن نحيلة ، وقوائم متينة راسخة ..

ولم يكن الجواد هو السبب في انتفاضته العنيفة ..

لقد كان ذلك الذي يجلس على متنه ، والذي بدا مخيفًا رهيبًا ..

وإلى أقصى حد .

* * *

٤ - الفرائس ..

« دعنا نقتله يا (نور) .. » .

ترددت العبارة وسط الأطلال القرمزية ، حاملة صوت (أكرم) ، على الرغم من أن هذا الأخير كان يطبق شفتيه ، ويحدق في حيوان الفراء في ذهول ، في حين اتسعت عينا (نور) في دهشة بالغة ، وهتف :

- رباه ! .. هل سمعت هذا يا (أكرم) ؟

لم يكد يتم عبارته ، حتى انبعث صوته من حلق الحيوان الضخم ، مكررًا عبارته بتفاصيلها ، فقال (أكرم) :

- يا إلهي ! .. دعني أعترف بأن هذا الكوكب عجيب بحق يا (نور) .. هذا الدب الضخم أكثر مهارة من أبرع الببغاوات في عالمنا (*) .

(*) الببغاء : الببغاوات رتبة من الطيور ، توجد عادة في المناطق الدافئة ، لها منقار قوي معقوف ، ولقدم أربعة أصابع ، وهي تتغذى على الثمار والبذور ، ويمكن أن يبلغ عمرها قرنًا كاملاً ، إذا ما تم الاعتناء بها على نحو جيد ، وبعض أنواعها لديه قدرة مدهشة على تقليد ما تسمعه من أصوات .

أجابه (نور) ، وهو مازال يصوب مسدسه الليزري إلى الحيوان في حذر متحفز :

- هذا صحيح يا (أكرم) ، ولكن السؤال هو : أهذه هي مهارته الوحيدة ، أم أنه أكثر مهارة في الانقضاض على ضحاياه ؟!

مال الحيوان الضخم ، مع آخر كلماته ، وانحنى برأسه نحو صدر (أكرم) ، الذي تجمد في مكانه ، مغمغمًا :

- أعتقد أن قتله أفضل من انتظار النتائج .

أشار إليه (نور) ، قائلاً :

- مهلاً يا رجل .. من الواضح أنه لا يسعى لافتراسك ، فهو يتشمم ثيابك فحسب .

قال (أكرم) في عصبية :

- ومن أدراك ؟! إنها ليست الخطوة الأولى ، قبل أن يغرس أنيابه الحادة الطويلة في صدري ؟!

هزّ (نور) رأسه نفيًا ، وقال دون أن يخفض مسدسه أو حذره :

- لست أعتقد هذا .

هتف (أكرم) :

- تعتقد ؟! .. ومتى تظنك ستنتقل من مرحلة

الاعتقاد إلى اليقين يا رجل ؟! عندما يبدأ في افتراسي بالفعل .

قالها ، والحيوان يقترب بأنفه من صدره أكثر وأكثر ، ويتشمم تلك المادة الخضراء ، التي تناثرت عليه في اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن رفع رأسه ، وأدار عينيه الواسعتين فيما حوله ، ثم انطلق يجري على أربع ، نحو البقعة التي كان فيها (نور) و(أكرم) منذ قليل واختطف جسد الوحش البرتقالي الممزق ، واعتدل واقفًا على قائمتيه الخلفيتين ، وأطلق زمجرة قوية أخرى ، قبل أن يجلس أرضًا كطفل صغير ، ويلتهم بقايا الوحش البرتقالي في لهفة ونهم ، جعلا (أكرم) يغمغم في دهشة :

- عجبًا ! .. أهذا ما كان يسعى إليه منذ البداية ؟!

خفض (نور) مسدسه ، وأعاده إلى حزامه ، قائلاً :

- هذا أمر طبيعي يا صديقي .. الاثنان يعيشان في بيئة واحدة ، ومن الواضح أن ذلك الكائن البرتقالي هو الغذاء الرئيسي لحيوان الفراء هذا .. وربما العكس بالعكس ، وأن كلاً منهما غذاء للآخر .. إنها طبيعة عالم الأحياء ، في أي زمان ومكان يا رجل .

هزّ (أكرم) رأسه ، وغمغم :



قبل أن يجلس أرضاً كطفل صغير ، ويلتهم بقايا الوحش البرتقالي في لهفة ونهم ..

- على أية حال . لم يعد هناك ما يدهشني ، منذ عملت معك يا (نور) .

ثم عاد يصوب مسدسه إلى حيوان الفراء ، مستطردا في حزم :

- وبمناسبة الحديث عن الغذاء . ألا يبدو لك هذا الضخم غذاء مناسبا لستة أفراد ؟!

لم يرق القول لـ (نور) ، فانعقد حاجباه في شدة ، وهو يرفض الأمر كله ، إلا أن طبيعته ومسئولياته كقائد جعلته يراجع الموقف ثانية ، قبل أن يعترف في أعماقه بأن (أكرم) على حق ..

ذلك الحيوان الضخم يصلح بالفعل كغذاء لستة أفراد .. بل ولستين فردا ..

وخاصة عندما يكون هؤلاء الأفراد من الغرباء ، الذين ألقت بهم ظروف غير طبيعية في كوكب مجهول ، لا أحد يدري متى تتاح فيه فرصة ثانية للحصول على غذاء آخر مناسب ..

وفي ضيق واضح ، غمغم (نور) :

- إنه كذلك بالفعل .

جذب (أكرم) إبرة مسدسه ، وصوبه إلى رأس الحيوان مباشرة ، وهو يغمغم :

- معذرة يا هذا .. سيؤسفني كثيراً أن أفعل هذا ، ولكن لو أنك في موضعي ، لأمكنك أن تقدر صعوبة الأمر وحساسيته ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، دوت من بعيد فرقعة مكتومة ، وانطلق خيط أحمر يشق السماء ، ثم لم يلبث أن انتهى بانفجار صامت ، تناثرت معه مادة فضية في سماء الكوكب ، فهتف (نور) ، وهو يلقى نظرة على ساعته :

- رباه ! .. إنها الإشارة ، ولم تمض الساعة بعد !!

وعاد ينتزع مسدسه ، هاتفاً :

- أسرع يا (أكرم) .. إنهم يواجهون خطراً بالتأكيد .

وقبل حتى أن يكتمل هتاف (نور) ، كان (أكرم) قد انتزع نفسه من موضعه ، ونسى أمر حيوان الفراء والحصول على الغذاء ، وانطلق يعدو بأقصى سرعته خلفه ، نحو الموضع الذى تركا فيه رفاقهما ..

ولو أن شخصاً يختبئ وسط الأطلال ، لصح هذا المشهد ، لخيل إليه أنه يراقب مجنونين ، وليس شخصين عاديين ، فعلى الرغم من الصخور والأطلال وبقايا الأحجار ، المتناثرة في كل مكان ، انطلق (نور) و(أكرم) كالصاروخ ، دون أن يوقفهما شيء ، فراحا

يثبان فوق الصخور ، ويدوران حول الأطلال ، ويحطمان كل عائق أمامهما ، وهما يتجهان نحو مكان رفاقهما ..

ولكنهما كانا قد ابتعدا كثيراً بالفعل ، حتى إن الأمر احتاج منهما - على الرغم من سرعتهما الجنونية - إلى سبع دقائق كاملة ، قبل أن يبلغا الموضع ، واتسعت عينا (أكرم) في ارتياع ، وهو يشير إلى بقعة من الدم ، تلوث صخرة كبيرة ، على مقربة من ذلك النتوء ، الذى كانوا يحتمون تحته :

- رباه ! .. لقد حدث شيء ما هنا .. شيء رهيب .

تلفت (نور) حوله في توتر بالغ ، قائلاً :

- عجباً ! .. لقد اختفوا جميعاً .. (خالد) ، و(رمزى) ، و(أوتو) ، و(نادية) !!.. كلهم ذهبوا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل أن ينحنى بحركة حادة ، ليفحص بعض الآثار على الرمال ، فجرى (أكرم) نحوه ، قائلاً :

- ماذا وجدت ؟!

أشار (نور) إلى الآثار ، مغمغماً :

- انظر .. إنه أمر مدهش بحق .. إنها .. إنها آثار حوافر جياد !

تراجع (أكرم) ، هاتفًا في دهشة عصبية :

- جياد ؟! .. هنا ؟!

أجابه (نور) ، وهو يتابع في توتر شديد تلك الآثار الواضحة ، التي انتشرت في دائرة واسعة :

- نعم .. جياد .. جياد كتلك التي نعرفها على أرضنا .. خمسة جياد على الأقل .. ومعركة .. لقد جرت خلف رفاقنا .. انظر .. هذه آثار حذاء (خالد) .. علامة الصنع التجارية واضحة به إلى حد ما .. لقد حاول الجري بكل قوته ، ثم سقط هنا ، وتدحرج إلى هناك ، ثم ..

بتر عبارته ثانية ، وانعقد حاجباه ، وهو يحدق في نقطة ما خلف الصخور ، ثم لم يلبث أن وثب نحوها ، وانحنى يلتقط شيئًا ما ، قائلاً :

- وهذا مسدسه .. من الواضح أنه فقده عندما سقط .

هتف (أكرم) في عصبية :

- وماذا عن الآخرين ؟!

أشار (نور) إلى آثار أخرى ، مجيبًا :

- لقد حدثت هنا معركة يا رجل .. معركة عنيفة إلى حد ما .

تلفت (أكرم) حوله في توتر شديد ، وهو يقول :

- معركة عنيفة ؟! .. ولكن متى ؟! .. وكيف ؟!

اتجه (نور) نحو الصخرة ، التي تلوثها بقعة الدم ، وتحسس الدماء بأنامله ، قبل أن يجيب :

- من فترة ليست بالطويلة .. هذه الدماء أريقت قبل وصولنا إلى هنا بفترة وجيزة ... ربما دقيقة أو دقيقتين ، فهي لاتزال دافئة لزجة ، ولم تتجمد بعد .

هتف (أكرم) فجأة :

- يا إلهي ! .. انظر يا (نور) :

رفع (نور) مسدسه وعينيه بسرعة كبيرة ، نحو البقعة التي يشير إليها (أكرم) ، ثم انعقد حاجباه في شدة ، وهو يحدق في ذلك الهيكل العظمي العملاق ، عند الأطلال المتهدمة ، في حين وثب (أكرم) نحوه ، هاتفًا :

- يا له من هيكل عظمي ! .. إنه أكثر ضخامة منا يا (نور) .

تمتم (نور) في توتر :

- هذا يعطينا فكرة عن طبيعة قاطني هذا المكان .

قال (أكرم) في عصبية :

- إنهم يشبهوننا كثيرًا ، باستثناء الحجم .

تمتم (نور) في حذر قلق :

- هذا صحيح .
ثم انخفضت عيناه مرة أخرى إلى آثار حوافر الجياد ، مضيفا :
- وهم يمتطون الجياد .
حدق (أكرم) في الهيكل العظمي لحظات ، في توتر شديد ، ثم استدار عائدا إلى حيث يقف (نور) ، وهو يقول :
- فلينقطع ذراعي لو لم ..
بتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، وأدار فوهة مسدسه نحو تجويف أسفل نتوء الأطلال ، وهو يثب خلفا بحركة حادة ، جعلت (نور) يصوب مسدسه إلى البقعة نفسها ، ويهتف في عصبية :
- ماذا هناك ؟
ولم يكد ينطقها ، حتى ارتفع حاجباه في دهشة بالغة ، واتسعت عيناه في شدة ، وهو يستطرد :
- رباه ! .. (نادية) ؟! ..
كانت المسكينة منكمشة داخل ذلك التجويف الضيق ، وقد ضمت ركبتيها إلى صدرها ، وراحت ترتجف في شدة . ودموعها تغرق وجهها ، وتتساقط على صدرها . فأسرع إليها (نور) ، قائلا :

- (نادية) .. ماذا حدث ؟! .. لماذا تختبئين هنا ؟! ..
ولماذا لم تعلني عن وجودك فور وصولنا .
حدقت الفتاة في وجهه بارتياع شديد ، وراحت تلهث في شدة ، قبل أن تقول بصوت أقرب إلى النحيب :
- خشيت أن يكونوا قد عادوا .. خشيت أن يقتلوني ، أو يختطفوني .. إنهم بشعون .. بشعون .
أمسكها (نور) من كتفيها ، وهو يقول :
- اهدئي يا (نادية) .. تمالكي أعصابك .. أخبرينا ماذا حدث ؟ .. من هؤلاء الذين خشيت عودتهم ، وما الذي فعلوه ؟
ارتجف صوتها بشدة ، وأطل خوف الدنيا كله من عينيها ، وهي تقول :
- الجياد .. راكبو الجياد .
سألها (أكرم) في عصبية شديدة :
- من هؤلاء ؟ وماذا فعلوا بالآخرين ؟!
غمرت الدموع وجهها ، وهي تنتفض ، قائلة :
- سأخبركما بكل شيء .. سأخبركما ما حدث .. لقد نجوت منهم بأعجوبة ، .. بمعجزة !
أومأ (نور) برأسه متفهما ، وقال :
- بالتأكيد يا (نادية) .. بالتأكيد .. أخبرينا ما حدث

بالله عليك .. نريد أن نعرف .

ازدردت المسكينة لعابها فى صعوبة شديدة ، و ...
وراحت تروى ..

* * *

انتفض جسد (خالد) فى عنف ، واتسعت عيناه عن آخرهما ، وهو يحدق فى ذلك الجواد الأصفر القوى ، وراكبه الرهيب ..

كان عملاقاً ضخم الجثة ، يربو عن المترين طولاً ، له شعر أشبه بالنيران المشتعلة ، ولحية حمراء كثة ، وبشرة تميل إلى الزرقة ، مع عينين مخيفتين فى لون الدم ..

وعلى صدره القوى ، تألق درع من الصلب ، يتوسطه شعار أسود ، عبارة عن دائرة يقطعها سهم معقوف ..

وفى نفس اللحظة ، التى وقع فيها بصر (خالد) على ذلك العملاق ، كان هذا الأخير يستل من حزامه هراوة ضخمة ، ثم يطلق صرخة كفيلة بزلزلة كيان أقوى الرجال ، وأكثرهم بأساً وشجاعة ، قبل أن ينقض على (خالد) ، الذى رفع مسدسه الليزرى ، هاتفاً :

– لا .. لا تقترب من الـ ..

قبل أن تكتمل عبارته ، هوت الهراوة على يده بقوة ، تحطم لها كفه ، وطار معها مسدسه الليزرى ، ليستقر بعيداً وسط الصخور ..

وتراجع (خالد) فى ذعر وألم ، فى نفس الوقت الذى ارتفعت فيه صرخات مخيفة ، من كل صوب ، وظهرت خمسة جياد قوية ، على متن كل منها عملاق مخيف آخر ..

وصرخت (نادية) ، وهى تنكمش أكثر وأكثر ، داخل ذلك التجويف ، فى حين تراجع (أوتو) صائحاً :

– يا إلهى ! .. ما هذا ؟! ما هذا ؟!

أما (واتسن) ، فقد أطلق شهقة رعب ، والتصق بالجدار مذعوراً ، وعيناه معلقتان بـ (خالد) ، الذى انطلق يعدو محاولاً الفرار ، على غير هدى ..

ورفع أحد العمالقة يده ، وأدارها فى الهواء ، ممسكاً سلاحاً بدائياً ، عبارة عن أربع كرات من المعدن ، يمتد من كل منها حبل قصير ، وتتصل الحبال الأربعة ببعضها البعض عند المركز ، واندفع خلف (خالد) ، ثم ألقى سلاحه فى قوة ومهارة ، تكشف عن طول استخدامه له ..

والتفت الحبال الأربعة حول قدمى (خالد) ، تدفعها

الكرات الثقيلة . ففقد توازنه ، وسقط على وجهه في عنف ، ولم يكد يعتدل ، حتى هوت هراوة عملاق آخر على رأسه ، وأعادته إلى الأرض فاقد الوعي ..

وفي هذه المرة ، كتمت (نادية) صرختها ، وانكمشت أكثر وأكثر في مكمنها ، وامتلأت نفسها بالذعر ، وهي تتمنى من أعمق أعماق قلبها ألا ينتبه هؤلاء العمالقة لوجودها ، حتى لا ينالها ما ينال الآخرين ، خاصة وأن أحد العمالقة قد انقض على (أوتو) ، الذي حاول الفرار ، ووثب نحوه بجواده القوي ، ثم استل من حزامه شيئا أشبه بالسيف ، هوى به على رأسه ، فاندفع (أوتو) إلى الأمام ، وفقد توازنه ، وسقط في عنف ، فارتطم رأسه بصخرة كبيرة ، وتفجرت منه الدماء ..

وفي ارتياع شديد ، التصق (واتسن) بالأطلال لحظة ، ثم لم يلبث أن انتزع نفسه من مكانه ، واندفع نحو (أوتو) ، وانحنى يختطف جهاز الإشارة من يده ، ورفعه عاليا ، وهو يهتف :

- (نور) .. عد إلينا أيها القائد .. أنقذنا بالله عليك .

وضغط زر الجهاز ، فصدرت عنه فرقعة قوية ، ثم انطلق منه خيط أحمر اللون ، ارتفع عاليا في السماء ،

قبل أن ينفجر في صمت ، وتتناثر منه مادة فاتية في الفضاء ..

ولثانية أو ثانيتين ، توقف العمالقة ، وتعلقت عيونهم بالسماء ، في توتر ملحوظ ، ثم لم يلبث أحدهم أن أطلق صرخة غاضبة مخيفة ، وانقض على (واتسن) ، الذي تراجع صائحا :

- لا .. لا .. ابتعد عني .. لا تفعلها معي .

ولكن العملاق انحنى على جواده الضخم في مهارة مدهشة ، وانطلقت قبضته ذات القفاز المعدني كالقنبلة في وجه (واتسن) ، فانتزعته من مكانه ، وألقته لمترين كاملين إلى الخلف ، قبل أن يسقط فاقد الوعي بين الصخور ..

واتسعت عينا (نادية) في رعب هائل ، ولكنها لم تنبس ببنت شفة ..

بل لقد كتمت أنفاسها ، كما تدربت في مركز إعداد المقاتلين الفضائيين ، وجمدت جسدها ، وخفضت معدلات نبضها وتنفسها إلى أقصى حد (*) ، حتى ،

(*) لاعبو اليوجا المتمرسون ، يمكنهم خفض معدلات نبضهم وتنفسهم إلى أقصى حد ، والتحكم في نشاط أجهزتهم الحيوية الداخلية أيضا

لا يشعر بها هؤلاء الوحوش ..

ومن مكمنها ، رأت (نادية) العمالقة الستة يقتربون من بعضهم البعض ، ثم يصنعون بجيادهم دائرة مكتملة ، قبل أن تنطلق من حلوقهم صيحة هادرة ، انخلع لها قلبها ، وتمتم معها لسانها في أعماق حلقها :

ـ لا تجعلهم ينتبهون إليّ يا إلهي ! .. أرجوك .

وانتهى العمالقة الستة من صيحتهم ، ثم اتجه ثلاثة منهم نحو (خالد) و(أوتو) و(واتسن) ، وانحنوا يلتقطونهم بقوة مدهشة ، ووضع كل منهم فريسته أمامه على متن جواده القوى ، ثم رفع أحدهم يده ، وأطلق صيحة أخرى ، انطلق الستة بعدها يبتعدون بصيدهم ، و(نادية) في مكمنها ترتجف .

وترتجف ..

وترتجف ..

* * *

حدق (نور) و(أكرم) في وجه (نادية) بدهشة بالغة ، وتبادل الاثنان نظرة مفعمة بالتوتر ، قبل أن يقول (أكرم) في عصبية :

ـ عمالقة بدروع وأسلحة بدائية ، على متن جياد قوية ؟! .. وكأنني أستمع إلى وصف لفيلم من الأفلام التاريخية القديمة !!

أما (نور) ، فتلفت حوله ، قائلا :

ـ ولكن هذا لا يتفق مع تلك الأطلال حولنا ! .. لقد بلغ أصحابها حضارة لا بأس بها يوما ، ومن المستحيل أن ينحدر بهم الأمر إلى هذا الحد !!

سألته (نادية) بصوت مرتجف :

ـ ألا تصدق قصتي ؟!

أجابها بسرعة :

ـ بل أصدقها يا (نادية) .. أصدق كل حرف منها ، ولكن الأمر يدهشني بحق ، ويجعلني أتساءل : كيف يمكن أن تتواجد تلك الأطلال ، التي تشف عن تقدم تكنولوجي قديم ، مع عمالقة بدائيين ، كهؤلاء الذين تصفينهم ؟!

هزت رأسها في مرارة ، قائلة :

ـ لست أدرى .. لقد ظهروا فجأة ، واختطفوا (خالد) و(أوتو) و(واتسن) ، وحملوهم معهم .

ثم عاد صوتها يرتجف ، وهي تسأل :

ـ هل .. هل تعتقد أنهم سيقتلونهم أيها القائد ؟! .. هل تعتقد هذا ؟!

تطلع إليه (أكرم) بدوره ، وكأن السؤال يشغله أيضا ، فانعقد حاجبا (نور) في شدة ، وهو يجيب :

- ليس فى الوقت الحالى على الأقل .. لو أنهم يبغون قتلهم ، لما تجشموا مشقة حملهم معهم ، وقتلوهم هنا .

ثم التفت إلى ذلك الهيكل العملاق ، مستطردًا :

- إنهم يريدون استجوابهم على الأرجح ، لانتزاع بعض المعلومات منهم ، ومعرفة سر وجودهم هنا ، فمن المؤكد أن ما يحدث من أمور ، منذ ظهرت تلك الفجوة البيضاء فى عالمهم ، يربكهم أيضًا بحق ، ولكن عقولهم البدائية عاجزة عن إيجاد تفسير منطقى له .

التقط (أكرم) نفسًا عميقًا ، محاولاً التغلب على ذلك الإجهاد العنيف ، الذى يشعر به ، منذ وصولهم إلى هذا العالم ، وقال :

- ولكن إلى أين يا (نور) ؟! .. إلى أين حملوا رفاقنا ؟

بدت الحيرة على وجه (نور) ، وهو يتلفت حوله ، قائلاً :

- لست أدرى .. لست أدرى بعد يا (أكرم) .. إنه مكان ما ، على مقربة من هنا .. على الأقل فى بقعة يمكنها رصد سقوط مكوكنا على هذا الكوكب .

قال (أكرم) بسرعة :

- هذا يعنى أننا نستطيع رصدها أيضًا من هنا ..

تألقت عينا (نور) ، وهو يشير بسبابته ، قائلاً :

- بالضبط .

ثم قفز يتعلق بحافة جدار قريب ، واعتلاه فى نشاط ملحوظ ، على الرغم مما يشعر به من إجهاد مماثل ، وأدار عينيه فيما حوله ، محاولاً تعرُّف المنطقة ..

كانت الأطلال تمتد أمامه لمسافة كبيرة ، ثم تظهر بعدها سلسلة جبلية ، ابيضت قممها ، على نحو يوحى بأنها مغطاة بالثلوج ..

ومن خلف تلك السلسلة الجبلية ، اتضح ضوء مبهر ، أثار انتباه (نور) بشدة ، فتطلع إليه بضع لحظات ، قبل أن يرتفع حاجباه فى دهشة ، ويغمغم :

- رباه !.. هذا صحيح بالفعل .

سأله (أكرم) فى قلق :

- ماذا لديك ؟!

أشار (نور) إلى منطقة الضوء ، قائلاً :

- الشمس .. شمس ذلك الكوكب تشرق فى الأفق ..

هتف (أكرم) فى دهشة بالغة :

- الشمس ؟! .. ولكن الضوء يغمر هذه المنطقة بالفعل ، منذ وصولنا إليها يا (نور) !

أدار (نور) سبابته ، مشيرًا إلى تلك البقعة المضيئة في السماء ، قائلاً :

ـ ما يغمر هذه المنطقة ليس مصدر الضوء الطبيعي هنا يا (أكرم) ، إنه الضوء المنبعث من الجانب الآخر للفجوة السوداء ، التي تكونت في عالمنا .. إنها تمتص وتجذب إليها كل شيء من عالمنا ، حتى الضوء ، ثم تلقيه على هذا العالم .

تطلع (أكرم) إلى الفجوة بدوره ، وغمغم :

ـ إذن فعلينا أن نجلس ، في انتظار وصول قمرنا إلى هنا .

أجابه (نور) في صرامة :

ـ بل علينا أن نقاتل ، بكل ما نمتلك من قوة وجهد ، لمنع حدوث هذا .

سأله (أكرم) :

ـ هل تعتقد أننا نستطيع ؟

أجابه (نور) بصرامة أكثر :

ـ كل ما علينا أن نحاول .

تنهد (أكرم) ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ثم سأل في قلق :

ـ هل استطعت تحديد البقعة ، التي ذهب إليها هؤلاء العمالقة برفاقنا ؟!

أدار (نور) عينيه في المكان مرة أخرى ، قبل أن يجيب في توتر :

ـ كلا .. إنه ليس شيئًا تقليديًا على الأقل .

انعقد حاجبا (أكرم) ، وهو يقول :

ـ ماذا تعني ؟! .. هل نقف ساكنين ، ونتركهم يفعلون ما يحلو لهم بالرفاق ؟!

وثب (نور) إلى الأرض ، قائلاً في حزم :

ـ كلا بالتأكيد .. سنسعى خلفهم بكل ما لدينا .

سأله (أكرم) في حنق :

ـ وماذا لدينا أيها العبقري ؟!

أشار (نور) إلى آثار حوافر الجياد ، مجيبًا :

ـ تلك الآثار .. سنتتبعها إلى حيث تنتهي .

حدق (أكرم) في الآثار ، قبل أن يهتف في حماس :

ـ رائع .. أنت عبقري بالفعل يا (نور) .. ستقودنا هذه الآثار إليهم حتمًا ..

ثم لوح بقبضته ، مستطردًا :

ـ كم أتوق للقاء هؤلاء الأوغاد .

أتاه صوت (نادية) مرتجفًا بشدة ، وهي تقول :

- لن يطول انتظارك .

ومع آخر حروف عبارتها ، تناهى إلى مسامعهما صهيل جواد خافت ، فاستدارا إليه بكيانهما كله ، و ..

وكانت المواجهة ..

لقد وجدا أمامهما مباشرة ، اثنين من العمالقة ، على متن جواديهما ، يتطلعان إليهما بتلك العيون الدموية المخيفة ، التي تطل منها شراسة الدنيا كلها .

ثم أطلق أحد العملاقين صرخة قتالية هادرة ، رددت الأطلال القرمزية دويها الوحشي الرهيب ، و ..

وانقض العملاقان على (نور) و(أكرم) ..

انقضا بكل القوة ..

وكل الشراسة .

* * *





وانقض العملاقان على (نور) و (أكرم) ..

٥ ـ الأسر ..

انتفض جسد (خالد) في عنف ، وهو يستعيد وعيه بغتة ، واعتدل جالسًا في حركة حادة ، وهو يقول :

ـ ماذا حدث ؟! .. أين نحن ؟!

واتسعت عيناه في ذعر ، وهو يحدق في جدران من الحجر ، تنتشر فيها طحالب زرقاء داكنة ، مع رطوبة شديدة ، وفي نهايتها قضبان سميكة ، تسد فتحتها الوحيدة ، وتنتهي من أسفل بأطراف حادة مسنونة ، كما لو كانت حرابًا قوية ، تكاد تنغرس في الأرض الصخرية الصلبة ..

وفي زمن تلك الزنزانة البدائية المخيفة ، وقع بصره على (أوستن) ، الذي جلس أرضًا ، وارتكن بظهره إلى الجدار الرطب ، وراح يتطلع إليه بدوره في صمت يائس ، جعل (خالد) يسأله مكررًا :

ـ أين نحن يا (واتسن) ؟!

زفر (واتسن) في مرارة ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ كما ترى يا رجل .. نحن داخل زنزانة بدائية

حقيرة ، لا أحد يدري ما إذا كنا سنبقى داخلها إلى الأبد ، أم نلقى مصرعنا سريعًا ، من جراء التعذيب .

هتف (خالد) في ارتياع :

ـ التعذيب ؟! .. أي تعذيب يا رجل ؟!

هز (واتسن) رأسه في مرارة ، وقال :

ـ ما الذي تتوقعه من قوم كهؤلاء يا رجل ؟!.. كومة من العمالقة البدائيين ، بلا رحمة أو شفقة ، ويحاولون انتزاع أقصى ما يمكنهم من المعلومات منا .. أتعتقد أنهم سيلجئون إلى الحوار الديموقراطي ؟!

بدا منطقه سليمًا تمامًا من هذه الناحية ، فاتسعت عينا (خالد) في ارتياع أكثر وأكثر ، وقال :

ـ رباه ! .. أنت على حق يا رجل .. أنت على حق

ثم هب واقفًا ، ومستطردًا في حدة :

ـ لا ينبغي أن نستسلم لهم إذن .. من الضروري أن نقاوم .. لابد وأن نفعل .. لابد .

صاح به (واتسن) في مرارة :

ـ كيف ؟! .. إننا لم نعد نمتلك أية أسلحة لمواجهتهم ، وهم عمالقة أشداء كما رأيت .

ضم (خالد) قبضته ، قائلاً :

ـ فلنتآزر ، ولنبحث عن وسيلة ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وكأنما انتبه إلى أمر ما ، وأدار عينيه في الزنزانة البدائية ، قبل أن يستطرد في هلع :

ـ ولكن أين (أوتو) ؟! .. أين هو ؟!

هز (واتسن) رأسه في أسف وأسى شديدين ، قبل أن يرفع يده في إرهاق ، كما لو أنها تزن طنًا ، ثم يعود ليخفضها ، على نحو بدت معه وكأنها سقطت وحدها ، ويقول :

ـ لقد أخذوه ..

مال (خالد) برأسه إلى الأمام ، مرددًا في انزعاج :

ـ أخذوه ؟! .. ماذا تعني ؟!

مط (واتسن) شفتيه ، وقلب كفيه ، قائلاً :

ـ لست أدري .. لقد أخذوه فحسب .. كان رأسه ينزف ، من أثر جرح في جبهته ، وجاءوا إلى هنا ، وحملوه في قسوة ، وذهبوا به إلى مكان ما .

قال (خالد) في توتر :

ـ ربما .. ربما يحاولون إسعافه .

أطلق واتسن) ضحكة عصبية ساخرة ، وهو يقول :

ـ هؤلاء القوم ؟! .. من الواضح أنك لم تتجاوز بعد مرحلة الأحلام الوردية يا رجل .. هؤلاء العمالقة الأوغاد ، الذين أحضرونا إلى هنا لن يبذلوا أدنى جهد

لإسعاف أحد .. اللهم إلا إذا كانوا يخشون أن يموت ، قبل أن يتمتعوا باللهو به ..

قال (خالد) في عصبية :

ـ لا يمكنك الجزم بهذا .. كل ما فعلوه حتى الآن هو أنهم ألقوا القبض علينا .. وهذا نفس ما كنا سنفعله ، لو أن مخلوقات عجيبة هبطت فجأة في كوكبنا ، إثر كارثة فضائية غامضة .. هل تنكر أننا كنا سنرسل فرقة عسكرية ؛ لإلقاء القبض عليهم ؟! أيعني هذا أننا قوم عتاة قساة ألا نقيم وزنًا للحياة ؟!

هزّ (واتسن) رأسه ، قائلاً :

ـ إنك لم تر الطريقة التي حملوه بها .

قال (خالد) في عصبية أكثر :

ـ هذا لا يعني شيئًا .

تطلّع إليه (واتسن) لحظة في صمت ، قبل أن يقول :

ـ يبدو لي أنك متفائل أكثر مما ينبغي يا رجل .

قال (خالد) في حدة :

ـ بل أنت المتشائم على نحو مبالغ .

ابتسم (واتسن) في سخرية عصبية متوترة ، وهو يقول :

- كم أتمنى أن تكون على حق .

قالها ، والتقط جهاز الكمبيوتر الشخصى الصغير من جيبه ، وراح يجرى بعض العمليات الحسابية ، فراقبه (خالد) لدقيقة كاملة ، قبل أن يسأله فى عصبية :

- ما الذى تفعله بالله عليك ؟

أجابه (واتسن) ، دون أن يرفع عينيه إليه :

- مجرد محاولة للتخفيف من التوتر ، وإضاعة الوقت فيما يفيد ، بدلاً من التفكير فى مصيرنا المنتظر .

وضغط أزرار الكمبيوتر ثانية ، قبل أن يستطرد :

- إننى أحاول حساب قوة جذب تلك الفجوة السوداء ، التى تكفى لجذب مكوكنا إليها ، من سطح القمر ، وأربط هذا بالفترة التى مضت ، منذ وقوع ذلك الانفجار الفضائى ، وحتى وصلنا إلى هنا .

سأله (خالد) :

- وبم يفيد هذا ؟!

أجابه (واتسن) ، وهو منهمك فى عمله :

- سيساعدنى على تحديد الوقت المتبقى ، قبل أن تجذب الفجوة السوداء قمرنا إليها ، وتضرب به هذا الكوكب ، فتفنيه عن آخره .

امتقع وجه (خالد) ، مع الإشارة إلى الفناء ، وقال فى توتر :

- ألا توجد وسيلة أخرى لتمضية الوقت ؟!

أجابه (واتسن) فى اقتضاب :

- كلا .

انعقد حاجبا (خالد) فى غضب ، وأشاح بوجهه عنه ، وراح يتأمل تلك الطحالب الزرقاء الداكنة فى توتر شديد ، حتى سمعه يقول فى دهشة :

- عجبًا ! .. ولكن هذا مستحيل !

فالتفت إليه ، قائلاً فى عصبية :

- ما هذا المستحيل ؟!

أشار (واتسن) إلى الكمبيوتر ، مجيبًا :

- ليس لدى أدنى شك ، فى أن أرقامى وحساباتى كلها صحيحة ودقيقة ، وعلى الرغم من هذا ، فالنتائج التى انتهيت إليها لا تتفق أبدًا مع الواقع .

التفت إليه (خالد) فى اهتمام ، قائلاً :

- وما هذه النتائج ؟!

أجابه (واتسن) ، وهو يتطلع إلى شاشة الكمبيوتر الصغير فى حيرة :

- طبقًا لما توصلت إليه ، كان من المفترض أن

تنجح تلك الفجوة في جذب قمرنا إليها ، بعد أربع ساعات من وقوعنا فيها ، ولكننا هنا منذ أكثر من خمس ساعات ، دون أن يحدث شيء" .

قال (خالد) في تردد :

ـ ربما كانت إحدى حساباتك ..

قاطعه (واتسن) في حسم :

ـ حساباتي كلها دقيقة وسليمة .

ثم تنهد ، وعاد يستند إلى الجدار الرطب ، مستطردًا :

ـ هناك حتمًا خطأ ما .. شيء لا يخضع للحسابات التقليدية .. شيء يتعلق بطبيعة هذا العالم ، أو ...

قبل أن يتم عبارته ، تحركت فجأة تلك القضبان الصلبة الثقيلة ، وراحت ترتفع إلى أعلى في بطء ، فالتفت إليها (خالد) و(واتسن) ، ثم اتسعت عيونهما ، وتراجعا على نحو عنيف ..

فأمامهما مباشرة ، وخلف تلك القضبان ، التي تواصل ارتفاعها في بطء ، كان يقف واحد من هؤلاء العمالقة القساة ..

وكان يختلف كثيرًا عن سابقيه ..

كان أكثر ضخامة ، شعره يكاد يشتعل من فرط لونه

الأحمر ، الذي يتناقض مع عينيه الدمويتين الضيقتين ، على الرغم من أنه حليق الوجه تمامًا ..

ولكن عيونهما تركزت على أسنانه ، وراح فكاهما يرتجفان رعبًا ..

فتلك الأسنان بالذات ، لم تكن تشبه الأسنان البشرية ، بأي حال من الأحوال ..

لقد كانت أقرب إلى أنياب ذئب ..

ذئب هائل ..

ومفترس ..

* * *

امتزجت صرخة العملاق بتلك الصرخة المذعورة ، التي أطلقتها (نادية) ، عندما انقض العملاقان على (نور) و(أكرم) ، بتلك الشراسة الوحشية المخيفة ، وانعكست في مقلتيها في ارتياع ، وعيناها تتابعان ذلك الصراع العنيف ، بين الرجال الأربعة .

ففي سرعة مدهشة ، رفع (نور) فوهة مسدسه الليزري ، وأطلق أشعته على يد العملاق ، الذي ينقض عليه ملوحًا بهراوة ضخمة ثقيلة ..

وعلى الرغم من أن الأشعة قد أصابت هدفها بمنتهى الدقة ، إلا أنها لم توقف العملاق ، أو تنجح حتى في

الإطاحة بهراوته ، بل انعكست عن قفازه اللامع فى عنف ، وبصوت أشبه بفحيح ترس مكتوم ..

وأطلق العملاق صرخة غضب أخرى ، أكثر ثورة ووحشية ، وهو يواصل انقضاضته على (نور) ويهوى بهراوته على معصمه فى قوة ..

وتحرك (نور) فى سرعة ، محاولا تفادى الضربة القوية ، إلا أن الهراوة أصابت مسدسه الليزرى ، فحطمت ماسورته ، وألقت به قرابة الأمتار العشرة ، وسط الأطلال القرمزية ..

وهنا أطلق العملاق صرخة ظافرة وحشية ، وجذب عنان جواده الضخم ، فارتفعت قائمتاه الأماميتان ، وهو يطلق صهيلا قويًا ، فى حين لوّح هو بهراوته فى الهواء ، ثم هوى بها ثانية ..

وفى هذه المرة على رأس (نور) ..

مباشرة ..

أما (أكرم) ، فقد أطلق رصاصات مسدسه بلا تردد ، عندما انقضّ عليه العملاق الآخر ، وأصاب صدره بثلاث رصاصات مباشرة ، أصابت هدفها بمهارة مدهشة ..

ولكن الرصاصات أيضًا لم توقف العملاق ..

لقد أصابت درعه القوى ، ثم ارتدت عنه بدوى معدنى عنيف ، وكادت إحداها تعود إلى (أكرم) نفسه ، لولا أن انحنى بحركة غريزية ، ووثب جانبا ، وهو يهتف محنقا :

ـ اللعنة ! .. إنه يرتدى درعًا واقيًا .

رفع العملاق يده بذلك السلاح المكوّن من الحبال ، والكرات المعدنية الأربع ، وأداره بمهارة مدهشة ، ثم قذفه نحو (أكرم) ..

وعلى الرغم من القفزة الجانبية لهذا الأخير ، إلا أن الحبال ارتطمت بعنقه ، ثم دارت حوله فى قوة ، مع اندفاع الكرات الأربع الثقيلة ، ودفعته معها إلى الخلف ، ففقد توازنه ، وارتطم بصخرة بارزة ، ثم سقط على ظهره أرضًا .

وانقضّ العملاق بوحشية أكثر هذه المرة ، وانتزع من حزامه هراوة ثقيلة ، وهو يطلق صرخة مخيفة ، وينحنى على جواده جانبا ، فى مهارة مدهشة ، ليهوى بها على رأس (أكرم) ..

وفى اللحظة نفسها ، كان (نور) يتفادى هراوة العملاق الآخر بانحناءة ماهرة مرنة ، وسمع صوت الهراوة الثقيلة ، وهى تضرب الهواء ، على ارتفاع

سنتيمترات قليلة من رأسه ، ثم اندفع إلى الأمام ، تاركا العملاق يتجاوزه بجواده ، ودار على عقبيه في سرعة مدهشة ، وشعر بآلام مبرحة في كتفه ، من جراء إصابته السابقة ، ولكنه تجاهلها في إصرار ، ووثب وثبة رائعة ؛ ليعتلي متن الجواد ، خلف العملاق مباشرة ..

وكان فارق الحجم بينهما واضحا للغاية ، حتى إن (نور) بدا أشبه بصبي صغير ، مقارنة بذلك العملاق الضخم ، الذي أربكته مباغتة (نور) ، فأطلق زمجرة غاضبة ، وحاول أن يستدير لمواجهة خصمه ، إلا أن (نور) هتف به :

ـ لا تحاول يا هذا .

ومع قوله ، ضم قبضتيه ، وهوى بهما ، بكل ما يملك من قوة ، على مؤخرة عنق العملاق ، الذي تلقى الضربة المباغتة ، فارتج جسده كله ، وانطلق من حلقه خوار خشن ، وواصل محاولة الالتفات ، وهراوته تدور في الهواء ، ثم تهوى على رأس (نور) ..

وانحنى (نور) بسرعة ، متفاديا الهراوة الثقيلة ، التي أصابت الهواء ، فاختل توازن خصمه ، وحاول أن يتشبث بعنان جواده ، إلا أن (نور) هوى على قفه

بلكمة ، أودعها كل قوته ، ففقد العملاق توازنه تماما ، وسقط عن جواده ، وهو يطلق صيحة هادرة ..

وبسرعة مدهشة ، دفع (نور) جسده إلى الأمام ، والتقط عنان الجواد ، وجذبه في قوة ، محاولا السيطرة على الحيوان القوي ، الذي شعر بسقوط فارسه ، فأطلق صهيلا غاضبا ، ورفع قائمتيه الأماميتين ، ليضرب بهما الهواء في ثورة ، محاولا إلقاء (نور) عن ظهره ..

أما (أكرم) ، فقد وثب من مكانه في سرعة ، قبل أن تهوى الهراوة الثقيلة على رأسه ، وسمع من خلفه صوتها يرتطم بالصخور ، وصوت صخرة تتحطم ، فغمغم في عصبية ، وهو ينتزع الحبال عن عنقه :

ـ رائع .. من حسن الحظ أن رأسي لم يكن في موضع هذه الصخرة المسكينة .

استدار العملاق إليه ، وهو يطلق صرخة غاضبة ، واندفع نحوه بجواده القوي ، و ..

وفجأة ، انقض (نور) بجواده على الجواد الآخر ، وهو يهتف :

ـ هيا يا (أكرم) .

وبسرعة مدهشة ، تحرك (أكرم) ..

كان التوافق بينه وبين (نور) مدهشا بحق ، حتى ليخيل إليك أنهما قد تدربا طويلا على هذا الأداء من قبل .

لم يكد (نور) يطلق هتافه ، حتى وثب (أكرم) ، متعلقا بعنق الجواد ، ثم دفع قدمه إلى أعلى ، ليركل بها العملاق في وجهه ، في نفس اللحظة التي انقض عليه (نور) فيها ، مطلقا صيحة هادرة ..

وقبل أن يستعيد العملاق جأشه ، ويسيطر على أعصابه ، أمام هذا الهجوم المزدوج ، هوى (أكرم) على قمته بمقبض مسدسه ، فدارت عيناه في محجريهما ، وهوى من فوق جواده إلى الأرض فاقد الوعى ..

وفي مهارة ، اعتلى (أكرم) متن الجواد ، الذي راح يقفز معترضا بدوره ، فهتف (نور) :

ـ تماسك يا (أكرم) .. تماسك يا صديقي .. ذلك الجواد سيقاوم قليلا ، ثم يستسلم لك ، كما فعل جوادي .

اشترك الاثنان في محاولة السيطرة على الجواد الثاني ، دون أن ينتبها إلى أن العملاق الأول قد استعاد توازنه ، ونهض غاضبا ، واستل من حزامه خنجرا مشرشرا ضخما ، انقض به على ظهر (نور) ..

وشهقت (نادية) في ذعر ، عندما شاهدت ذلك العملاق ينقض على (نور) من الخلف ، وأرادت أن

تصرخ محذرة هذا الأخير ، إلا أن شيئا ما في أعماقها سجن صرختها في حلقها ، وراح يؤنبها في غضب غير مسموع .

ماذا دهاك يا (نادية) ؟! ..

كيف تقفين هكذا ، ورفيقاك يقاتلان في استماتة ؟!

هل نسيت من أنت ؟! ..

هل فقدت كل ما تدربت عليه طويلا ؟! ..

أنت لست فتاة عادية ..

أنت مقاتلة من طراز خاص ..

مقاتلة فضائية ، مؤهلة لخوض أعنف المعارك ، في كواكب بعيدة وعوالم أخرى مجهولة ..

فماذا أصابك ؟!

هل حطمتك كارثة القمر ؟! ..

هل دمرتك نهاية رفيقك ؟! ..

أنسيت من أنت ؟! ..

ماذا أصابك ؟!

أين أنت ؟! ..

أين (نادية) ، المقاتلة الفضائية الفذة ؟!

« هنا .. » .

هتفت بالكلمة في حزم وصرامة وهي تنتزع نفسها

من مكمنها ، وتندفع بكل قوتها نحو العملاق ، الذى يتقدم من خلف (نور) ..

وبقفزة ماهرة مدهشة ، تعلقت بعنقه من الخلف ، ودفعته أمامها ، فاختل توازنه من أثر المفاجأة ، وسقط معها أرضًا على وجهه ..

وقبل أن يستعيد توازنه ، قفزت هى واقفة ، ودارت حول نفسها فى مهارة ، هاتفة .

ـ لقد عدت إليك أيها الوغد .

ومع دورتها ، ارتفع جسدها عن الأرض لما يقرب من المتر ونصف المتر ، وركلت العملاق فى فكه وأنفه ، ركلتين سريعتين قويتين ..

والتفت (نور) و(أكرم) إليها فى دهشة ، مع تلك الصرخة الغاضبة الثائرة ، التى أطلقها العملاق ، ورأياها تتراجع بسرعة كبيرة ، ثم تثب إلى الأمام ، ويدور جسدها حول نفسه دورة رأسية ، تجاوزت بها جسد العملاق ، الذى أصابته دهشة بالغة ، ورفع عينيه إليها ، فأصابتهما ضربة كالقنبلة من قبضتها ، قبل أن تواصل دورتها ، وتهبط على قدميها خلفه ، ثم تنحرف جانبًا ، تاركة جسده الضخم يسقط وسط الصخور فى عنف ، فاقدًا الوعى .

وفى دهشة ، هتف (أكرم) :

ـ عجبًا ! .. هل دب النشاط فى جسدك بغتة ؟!

نفضت كفيها ، وهى تجيب فى حزم ، لم يعهده منها قط :

ـ بل قل : إننى استعدت ما فقدته .

ارتسمت على شفتى (نور) ابتسامة ، وهو يقول :

ـ هذا أمر طبيعى .. لقد كنت أتساءل منذ البداية ، كيف يمكن أن تخضعى لبرنامج إعداد المقاتلين الفضائيين ، دون أن تكتسبى مهارات قتالية متفوقة ..

تنهدت ، مغمغمة :

ـ فى النهاية ، لا يصح إلا الصحيح أيها القائد .

قال (أكرم) ، وهو يهبط عن متن جواده :

ـ صدقت .

ثم انحنى يفحص أحد العملاقين الفاقدى الوعى ، قائلاً :

ـ هؤلاء الأوغاد عمالقة بحق يا (نور) ، كما أنبأنا ذلك الهيكل العظمى ، ولكنهم مقاتلون بدائيون ، يذكروننى بما قرأناه عن (أوروبا) (*) القرون الوسطى ، قبل النهضة الصناعية والعلمية .

(*) أوروبا : قارة ، تبلغ مساحتها مع جزرها حوالى (١٠,٣٦٠,٠٠٠ كم٢) ، كما يبلغ تعداد سكانها ما يزيد عن سبعمائة مليون نسمة ، يفصلها عن (آسيا) جبال (أورال) ، وبحر (قزوين) ، والقوقاز ، والبحر الأسود ، وعن (أفريقيا) البحر المتوسط ، ويحدها شمالاً المحيط المتجمد الشمالى ، وغربًا المحيط الأطلنطى ، وتنقسم إلى ثلاثة أقسام تضاريسيًا .

تلاقى حاجبا (نور) ، وهو يقول :

ـ هذا صحيح ، ولكن وجودهم لا يتفق فقط مع آثار الحضارة في هذه الأطلال القديمة .

هزّ (أكرم) رأسه ، قائلاً :

ـ هناك تفسير حتمًا لكل هذا يا (نور) .

غمغم (نور) :

ـ بالتأكيد .

ثم أدار عينيه إلى سلسلة الجبال البعيدة ، وإلى الشمس التي أشرقت من خلفها ، مستطردًا :

ـ وهذا التفسير ينتظرنا هناك .. عند تلك الجبال .

أومأ (أكرم) برأسه متفهمًا ، ثم وثب يعتلي متن جواده ، في حين مد (نور) يده إلى (نادية) ، فأمسكت بها ، وقفزت بدورها إلى ظهر الجواد ، خلف (نور) ، الذي جذب عنان جواده ، ولكزه بكعبيه في بطنه .

وانطلق الجوادان بحمليهما نحو سلسلة الجبال في الأفق ، دون أن يتبادل الجميع كلمة إضافية واحدة ..

لقد تم تحديد الهدف في تلك المرحلة ..

وبقي تحديد أمر واحد ..

المصير ..

مصيرهم ..

ومصير الأرض كلها ..

* * *

ارتجف جسد (خالد) ، من قمة رأسه ، وحتى أخمص قدميه ، وهو يحدق في وجه ذلك القادم الجديد ، الذي بدا أشبه بشخصية وهمية ، من شخصيات أفلام الرعب القديمة ، بأنيابه البارزة ، ووجهه المائل إلى الزرقة ، وذلك الشعر الملتهب على قمة رأسه ، وعينيه الدمويتين الرهيبتين ..

ولأول مرة ـ منذ استعاد وعيه ـ شعر بآلام مبرحة في يده المحطمة ، كما لو أنها هي أيضًا تعلن خوفها ورهبتها ..

أما (واتسن) ، فقد اتسعت عيناه ، وهب واقفًا على قدميه ، والتصق بالجدار الرطب ، وهو يتطلع إلى الزائر المخيف ، الذي تقدم داخل الزنزانة ، وأدار عينيه الرهيبتين بينهما في صرامة ، ومن خلفه برز مقاتلان قويان ، يمسك كل منهما رمحًا قويًا ، ويصوبه إلى أحد الرجلين ، وهتف أحدهما بكلمات عجيبة ، لم يفهم (خالد) أو (واتسن) حرفًا واحدًا منها ..

ثم ظهر ذلك الشيخ ..

ومرة أخرى ، تفجرت الدهشة فى أعماق الرجلين ..

هذا لأن الشيخ ، الذى يشترك مع العملاق فى لون بشرته المائل إلى الزرقة ، وشعره الأحمر النارى ، كان يختلف عنه فى أمر جوهرى للغاية ..

الحجم ..

كان ضئيلا ، حتى ليبدو أقل حجمًا منهما شخصيًا ، مما جعله يبدو ، بلحيته الحمراء الضخمة ، ونحوله الشديد ، أشبه بفأر صغير ، يقف إلى جوار قط كبير ضخم ..

ولفترة تقترب من دقيقة كاملة ، ران على الجميع صمت رهيب ، والقادم الجديد يرمق (خالد) و(واتسن) بنظرة صارمة مخيفة ، قبل أن يشير إلى الشيخ ، الذى تحدث فى هدوء ، موجهًا كلماته إلى (خالد) و(واتسن) ..

كان صوته عميقًا نقيًا واضحًا ، إلا أن الرجلين لم يفهما حرفًا واحدًا مما نطقه ..

لقد تحدث بلغة عجيبة ، غير مفهومة ، لم يسمع أحدهما مثل مخارجها من قبل قط ، على الرغم من ثقافتهما الواسعة ، وكل ما تلقياه من علوم ولغات ، بالوسائل التكنولوجية للتلقين الحديث ..

ومع الحيرة التى انحفرت على وجهيهما ، وأطلت من عيونهما ، صمت الشيخ لحظة ، ثم عاد يتحدث بلغة جديدة ..

ومرة أخرى ، شفت ملامحهما على حيرتهما ..

ومرة أخرى ، انتقل الشيخ إلى لغة جديدة ..

أطلت الصرامة من عينى صاحب الأنياب البارزة ، مع نفاد صبر واضح ، فى حين واصل الشيخ الانتقال من لغة إلى لغة ، وكأنما يسعى لإيجاد لغة تصلح لتبادل الحديث ، مع (خالد) و(واتسن) ، فغمغم الأخير متوترًا :

ـ هل تفهم شيئًا ؟!

أجابه (خالد) فى توتر أشد :

ـ ولا حرفًا واحدًا .

نقل صاحب الأنياب البارزة عينيه بينهما فى غضب ، فلوّح (واتسن) بيده ، قائلاً فى عصبية :

ـ لسنا نفهم شيئًا .

زمجر صاحب الأنياب البارزة فى وحشية ، واندفع حارساه يلكزان (خالد) و(واتسن) بطرفى رمحيهما ، وكأنهما يوجهان إليهما تهديدًا عمليًا ، فتراجعا هاتفين :

ـ نحن لا نفهم شيئًا بالفعل .

التفت الشيخ الضئيل إلى العملاق ذى الأنياب ، وتحدث إليه بلغة خشنة ، فانعقد حاجبا العملاق ، وأشار إلى حارسيه ، فتراجعا فى صرامة ، والتفت الشيخ إلى (خالد) و(واتسن) وتحدث بلغة جديدة ..

وفى هذه المرة ، ارتفع حاجبا (واتسن) فى دهشة ، وهتف :

- رباه !.. إنها اللغة الصينية ؟!

قال (خالد) فى دهشة أكبر :

- الصينية ؟! .. وهل تعرف الصينية ؟!

أجابه (واتسن) فى لهفة :

- القليل منها فحسب .

لاحظ الشيخ تلك الانفعالات ، وبدا من الواضح أنه فهم فحوى حديثهما ، فقد توجه نحو (واتسن) ، وقال شيئا ما بالصينية ، فارتبك (واتسن) ، وغمغم بعبارة صينية ركيكة ، قائلا :

- أفهم القليل من هذه اللغة .. القليل جداً .

مط الشيخ شفتيه ، وهز رأسه متفهما ، ثم انتقل إلى لغة جديدة ، وهو يتطلع إلى عينى (واتسن) مباشرة ، فغمغم هذا الأخير فى حيرة :

- كلا .. لست أفهم هذه اللغة .

وهتف (خالد) فى دهشة بالغة :

- كيف أمكنهم معرفة اللغة الصينية على هذا الكوكب ؟!

أجابه (واتسن) ، دون أن يرفع عينيه عن عينى الشيخ الدمويتين :

- هذا ليس الأمر الوحيد المثير للدهشة هنا يا رجل .

لم يكد يتم عبارته ، حتى قال الشيخ بالصينية ، وبلغة بسيطة للغاية :

- حاول التفاهم بهذه اللغة .. لا يوجد سواها .

أومأ (واتسن) برأسه إيجابا ، وقال بحصيلته القليلة من الصينية :

- سأحاول .

التفت الشيخ إلى العملاق ، وقال شيئا بلغتهما ، على نحو يوحى بأنه يترجم ما قاله (واتسن) ، فزمجر العملاق ، وأشار بيده فى صرامة ، وهو يتحدث فى خشونة ، واستمع إليه الشيخ فى انتباه ، ثم التفت إلى (واتسن) قائلا :

- من أين جئتم ؟

أشار (واتسن) بيده إلى أعلى ، قائلا :

- الفجوة .. الفضاء .

فهم الشيخ ما يعنيه ، فأومأ برأسه معلنا هذا ، ثم ترجم القول للعملاق ، الذى انعقد حاجباه فى غضب ، وتحدث فى حدة ، وترجم الشيخ حديثه ، قائلا :

- أنتم المسئولون عن الكارثة التى أصابت كوكبنا ، منذ مائة وتسعة وأربعين يومًا ؟!

ارتفع حاجبا (واتسن) فى دهشة ، وهو يهتف بلهفة :

- مائة وتسعة وأربعون يومًا ؟!.. كيف ؟!.. الفجوة لم تتكوّن إلا منذ أقلّ من أسبوع واحد ، و ...

ثم بتر عبارته بغتة ، واتسعت عيناه فى شدة ، وقبض بأصابعه على معصم (خالد) فى قوة ، وهو يهتف :

- رباه !.. الآن فهمت .. الآن عرفت تفسير ذلك التناقض .

والتفت إلى (خالد) ، مستطردًا فى انفعال :

- الآن عرفت لماذا لم يسقط القمر فى الفجوة السوداء بعد يا رجل ؟

زمجر العملاق ذو الأنياب فى غضب صارم ، وانعقد حاجبا الشيخ فى تساؤل ، فى حين ارتفع حاجبا (خالد) فى دهشة بالغة ..

ولكن (واتسن) لم يشعر بكل هذا ..

لقد توصل إلى تفسير واحد من ألغاز هذا العالم المخيف ..

وكان التفسير مدهشًا ..

مدهشًا بحق .

* * *



زمجر العملاق ذو الأنياب فى غضب صارم ، وانعقد حاجبا الشيخ فى تساؤل ..

٦ - الدقائق ..

ارتفع حاجبا (نشوى) فى دهشة عارمة ، وهى تحدق فى الوجهين الشاحبين ، لأمها (سلوى) وصديقتها (مشيرة) ، قبل أن تفسح لهما طريق الدخول إلى منزلها ، قائلة :

- مرحبًا يا أمى .. مرحبًا يا (مشيرة) .. ماذا بكما .. تبدوان شاحبتين للغاية .

ثم حمل صوتها قدرًا هائلا من التوتر ، والقلق ، وهى تسأل :

- أهو أمر يتعلق بأبى و(أكرم) ؟

ألقت (سلوى) جسدها على أقرب مقعد إليها ، وهى تقول بصوت أقرب إلى البكاء :

- هذا جل ما أخشاه يا بنتى .. هذا جل ما أخشاه .

برز (رمزى) من حجرة مكتبه فى هذه اللحظة ، وهو يسأل فى قلق :

- ماذا حدث ؟!

انفرجت شفتا (سلوى) ، فى محاولة للتحدث ، إلا

أن تلك الغصة فى حلقها منعتها من الكلام ، فاكتفت بإشارة من يدها ، جعلت (مشيرة) تندفع قائلة :

- أنتما تعلمان أن (نور) و (أكرم) خرجا على رأس حملة خاصة إلى القمر ، بعد حدوث تلك الظاهرة ، التى أضاءت السماء ليومين كاملين .

غمغم (رمزى) :

- هذا صحيح .

ازدردت لعابها فى صعوبة ، مكملة :

- وأنا واثقة ، مثلما أنتم واثقون ، أن الحملة لم تكن مجرد حملة تفتيش عادية ، كما حاول (نور) و (أكرم) إقناعنا ، وأنه قد حدث أمر ما فى قاعدة القمر ، استوجب إرسال رجلين مثلهما إلى هناك ، ونظرًا لطبيعتهما ، أكاد أجزم بأن لما حدث علاقة بالظاهرة العجيبة ، وأنه هناك خطورة ما تكمن خلف هذا ، وإلا فلماذا (نور) و (أكرم) بالذات ؟!

تبادلت (نشوى) نظرة شديدة القلق مع (رمزى) ، فقال هذا الأخير فى حذر :

- هذا أمر طبيعى وهو من صميم عمل (نور) و (أكرم) .

تنهدت (سلوى) فى مرارة ، قائلة :

- ولكنهما يتعرضان لخطر داهم .

شهقت (نشوى) ، هاتفة :

- يا إلهي !.. أبي !!

ثم ارتجف جسدها في قوة ، وهي تستطرد :

- الحلم يا (رمزي) .. الحلم .

أسرع زوجها إليها ، واحتواها بين ذراعيه ، وربت عليها في حنان ، قائلا :

- اهدئي يا عزيزتي .. إنه مجرد حلم .

تبادلت (سلوى) و (مشيرة) نظرة ذعر صامتة ، قبل أن تسأل الأخيرة في توتر ملحوظ :

- أي حلم هذا يا (نشوى) ؟!

تركت (نشوى) دموعها تسيل على وجنتيها ، وهي تقول :

- حلم أيقظني من نومي مذعورة .. حلم رأيت فيه أبي و (أكرم) يسقطان في فجوة عميقة مظلمة ، وعندما صرخت محاولة الاستنجاد بأي شخص لإنقاذهما ، ظهر (محمود) فجأة .

امتقع وجه (سلوى) ، وانكمشت في مقعدها ، مغمغمة :

- يا إلهي !.. يا إلهي !

أما (مشيرة) ، فقالت بصوت مرتجف :

- وطلب منك ألا تقلقي ، ثم وعدك بأنه لن يتخلى عنهما قط ، وغاص خلفهما في الفجوة ، فرحت تصرخين وتصرخين ، حتى استيقظت من نومك .

أليس كذلك ؟!

انعقد حاجبا (رمزي) في شدة ، في حين حدقت (نشوى) في وجه (مشيرة) في ذهول ، مغمغمة :

- كيف عرفت هذا ؟!

زفرت (سلوى) ، وهي تقول في مرارة :

- يبدو أننا عشنا جميعا الحلم نفسه هذه الليلة .

اتسعت عينا (نشوى) ، وهي تتطلع إلى (رمزي) في ارتياع ، فازداد انعقاد حاجبي هذا الأخير ، وهو يقول :

- يبدو أننا مضطرون للاعتراف بالأمر هذه المرة يا رفاق .

وتنهد بدوره في عمق ، قبل أن يتابع :

- إنه (محمود) بالفعل .

هتفت (مشيرة) :

- إذن فأنت تؤمن بأنه لم يمت بالفعل .

أشار بيده ، قائلا في حزم :

- لا يمكنني الجزم بشيء .

ثم شرد ببصره ، مستطردًا في عمق :

ـ ولكنه يسعى لتحذيرنا من أمر ما بكل تأكيد .

ارتجفت سبابة (سلوى) ، وهي تشير إلى أعلى ، قائلة :

ـ أمر يتعلق بـ (نور) و (أكرم) .

أومأ (رمزي) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ هذا صحيح .. ينبغي أن نبذل بعض الجهد ، للحصول على المعلومات بشأنهما .

هزت (مشيرة) رأسها نفيًا ، قائلة :

ـ لا تحاول .. أنت تعلم حجم شبكة المعلومات ، التي أعتمد عليها في عملي ، للحصول على ما ننشره من أخبار في (أنباء الفيديو) ، وعلى الرغم من هذا ، فقد عجزت عن الحصول على أية معلومات في هذا الشأن .. من الواضح أنه يندرج بالفعل تحت بند السرية القصوى ، حتى إن أحدًا لم يسمع حرفًا واحدًا عنه .

تطلّع (رمزي) إلى (نشوى) ، قائلاً :

ـ وماذا لو حاولنا التسلل إلى شبكة الكمبيوتر الخاصة ؟!

مطت (نشوى) شفتيها ، وقالت :

ـ هذا مستحيل تمامًا .. إنك تتحدث عن كمبيوتر

إدارة المخابرات العلمية ، ونظام الأمن فيه محكم للغاية ، حتى إنني ، وعلى الرغم من كوني خبيرة كمبيوتر متميزة ، لا أستطيع تجاوز تلك الحواجز الأمنية ، دون معرفة المفاتيح السرية للدخول ، وإلا فستنطلق صفارات إنذار خاصة ، في أجهزة الكمبيوتر ، في كل الأجهزة الأمنية المصرية ، ويتم إلقاء القبض علي خلال دقائق معدودة ، وكلكم تعلمون أن عقوبة محاولة الاختراق هذه هي الإعدام ، باعتبارها خيانة عظمى .

قالت (سلوى) في توتر :

ـ ولكننا لا نستطيع الوقوف ساكنين ، و (نور) و (أكرم) يواجهان خطرًا داهمًا في الفضاء .

ران على المكان صمت ثقيل ، بعد أن نطقت عبارتها ، وتبادل الجميع نظرات متوترة ، قبل أن تهتف (نشوى) بغتة :

ـ وماذا عن مراكز الرصد الفضائي ؟!

تطلّع إليها (رمزي) بنظرة متسائلة ، فاستطردت في حماس :

ـ لو أن شيئًا ما قد أصاب قاعدة القمر ، لكان من الطبيعي أن ينشغل المرصد الفضائي الجديد على الأقل في عملية رصد الموقف ؛ لمتابعة أية تغيرات أو أحداث

هناك ، وكما تعلمون ، فكل ما يتم رصده يسجل أولا بأول في ذاكرة الكمبيوتر ، ولو أننا استطعنا اختراق هذه الذاكرة ، فسنعلم الكثير حول حقيقة الموقف .

كادت (نشوى) تقفز من مكانها ، وهي تهتف في حماس :

ـ بالتأكيد .

ثم اندفعت نحو جهاز الكمبيوتر الخاص بها ، وراحت أصابعها تضرب أزراره في سرعة وحماس ، في نفس اللحظة التي ارتفع فيها بكاء طفل ، فهتفت في قلق :

ـ (محمود) الصغير يبكي .

هبت (سلوى) من مقعدها ، هاتفة :

ـ واصلي عملك .. سأهتم أنا به .

ازدردت (مشيرة) لعابها في توتر ، وهي تتابع (سلوى) ، التي اختفت داخل حجرة الصغير بضع لحظات ، ثم عادت تحمله ، وترضعه من زجاجة صغيرة ، ذات نهاية مطاطية ، فابتسمت (نشوى) لصغيرها ، وواصلت عملها على الكمبيوتر ، في حين خفضت (مشيرة) عينيها ، وتذكرت حملا قديما لم يكتمل ، ثم لم تلبث أن نفضت الفكرة عن رأسها ، وعادت تتابع عمل (نشوى) ، قبل أن تقول هذه الأخيرة في حماس :

ـ ها هو ذا .. لقد أصبحنا داخل كمبيوتر المرصد الجديد .

اندفع الجميع في لهفة إلى شاشة الكمبيوتر ، التي راحت المعلومات المختلفة من المرصد الجديد تتراص عليها في سرعة ، حاملة كل ما تم رصده ، حول القاهرة ، والفجوة السوداء ، وقاعدة القمر ، والمكوك (القاهرة ٢٠٠٠) ، و ...

واتسعت العيون في هلع وارتياع ..

وخفقت القلوب في قوة وذعر ..

ولدقيقتين كاملتين ، لم ينبس أحدهم ببنت شفة ، والمعلومات تتواصل ، وتتواصل .. وتتواصل ..

ثم هتفت (سلوى) في رعب :

ـ رباه !.. (نور) و (أكرم) والجميع سقطوا داخل فجوة سوداء ..

أما (مشيرة) ، فاتسعت عيناها في ذعر ، وتراجعت ، قائلة :

ـ هل .. هل لقي الجميع مصرعهم ؟!

وشهقت (نشوى) ، مرددة :

ـ أبي .. يا إلهي !.. أبي .

قال (رمزي) في توتر :

- مهلا .. لا أحد يدرى ماذا يوجد خلف الفجوات السوداء .

قالت (سلوى) منهارة :

- العالم المضاد .. ألا تذكر هذا (*).. الفجوة السوداء ستدفعهم إلى عالم مضاد ، تتفجر أجسادهم فور ملامسته .

أجابها في حزم :

- ليس بالضرورة .. النظريات الخاصة بالفجوات السوداء تقول : إنها ربما تقود إلى عوالم أخرى ، وليس بالضرورة أن تكون عوالم مضادة ..

لقد نقلتنا ذات مرة إلى مسافات بعيدة في الكون(**) .. كوننا ..

انفجرت باكية ، وهي تقول :

- ولكن لا سبيل للعودة منها .. كل النظريات أجمعت على هذا .. قوة الطرد عند فتحتها الأخرى تمنع أي جسم من الاقتراب منها ، أو عبورها في الاتجاه العكسي .

(*) راجع قصة (نداء النجوم) .. المغامرة رقم (١٤)

(**) راجع قصة (لهيب الكواكب) .. المغامرة رقم (٩٢)

وبكت (مشيرة) بدورها ، هاتفة :

- لقد انتهى أمرهما .. انتهى أمر (نور) و (أكرم) .

صاح (رمزى) في صرامة :

- لا داعي لأن نسبق الأحداث .. نحن لا ندرى شيئا عن مصيرهما بعد ..

هتفت (نشوى) :

- ولا أحد يدرى أيضا .. المكوك ابتلعته الفجوة السوداء ، وبات مصيره محتوما .

قال في صرامة :

- مازلت أصر على عدم القفز إلى استنتاجات مبهمة ، دون مزيد من المعلومات ، حول ما يحدث خلف تلك الفجوة السوداء .

هتفت (مشيرة) من وسط دموعها :

- أي قول هذا يا (رمزى) ؟!.. لا أحد يعلم بالطبع ما الذي يحدث خلف تلك الفجوات السوداء .. ما من عالم في الأرض كلها ، يمكنه أن يمنحك أية معلومات مؤكدة ، عما يحدث خلف الفجوة السوداء .

وبكت (سلوى) في مرارة ، وهي تضيف :

- ثم إن مصير (نور) و (أكرم) لن يختلف كثيرا عن مصيرنا ، ومصير كوكب الأرض كله ، طبقا لهذه

المعلومات . فبعد ما يقرب من ست ساعات ، ستلتهم تلك الفجوة اللعينة أرضنا ، وتقضى علينا جميعا .. إنها نهايتنا جميعًا .

قال (رمزى) فى إصرار :

- لا يمكنك الجزم .. المعلومات أولاً ..

حدّق الجميع فيه بدهشة ، وهتفت (نشوى) :

- ماذا دهاك يا (رمزى) ؟.. كيف يمكننا الحصول على معلومات كهذه ، فى مثل ظروفنا ؟

انعقد حاجباه فى حزم ، وهو يقول :

- ما دمنا قد اقتنعنا جميعًا بأن (رمزى) يمكنه الاتصال بنا بوسيلة ما ، فهذا يعنى أن لدينا سبيلاً مؤكدًا ، للحصول عن أية معلومات ، مهما بلغت صعوبة التوصّل إليها .

تبادلت النساء الثلاث نظرة دهشة وحيرة ، قبل أن تسأل (سلوى) :

- وما هذا السبيل يا (رمزى) ؟

التقط نفسًا عميقًا ، قبل أن يجيب فى حزم :

- أن ننام .. وبعمق .

وكانت إجابته مدهشة ..

ومنطقية ..

للغاية ..

* * *

لهث (أكرم) فى شدة ، وجذب عنان جواده ؛ ليوقفه وسط تلك الصحراء الصخرية القاحلة ، ورفع يده ليمسح العرق الغزير عن جبهته ، قائلاً :

- (نور) .. لم يعد بإمكانى أن أواصل .. الطقس حار للغاية ، وحجم تلك الشمس يوحى بأنها أكبر من شمسنا مرتين على الأقل ، وحرارتها تكاد تشوينا ، وسط تلك الصحراء اللعينة .. أضف إلى هذا أننا مجهدون بشدة

غمغمت (نادية) ، وهى تفتح عينيها فى صعوبة :

- هذا صحيح .

ألقى (نور) نظرة على الجبال ، التى تبدو من بعيد ، ومسح عرقه الغزير بدوره ، قبل أن يقول :

- فليكن .. القافلة تسير بقدر احتمال أضعفها .. أنا أيضا مازلت أشعر بالإجهاد .. سنستريح قليلاً ، ثم نواصل سيرنا .

وأدار عينيه فيما حوله ، ثم أشار إلى صخرة كبيرة بارزة ، تلقى ظلاً طويلاً على الأرض ، واستطرد :

- أعتقد أن هذا أفضل مكان للراحة .

اتجه الثلاثة بالجوادين إلى الظل الكبير ، وهبط (أكرم) عن متن جواده ، وألقى جسده المجهد إلى جوار الصخرة ، وهو يقول :

- يا له من طقس ملتهب !.. إنني أتساءل كيف يرتدي هؤلاء العمالقة الملاعين تلك الدروع الثقيلة ، في طقس كهذا .. أراهن أن حرارة تلك الشمس تبلغ ستين درجة مئوية على الأقل .

عاون (نور) (نادية) على الهبوط ، ونزل عن جواده بدوره ، والتقى حاجباه على نحو يوحي بالتفكير العميق ، وهو يتطلع إلى ما حوله ، قبل أن يقول :

- ربما كانت لديهم القدرة على احتمال هذا الطقس ، أو أن أجسادهم لا تمتص الحرارة ، بنفس السرعة التي تمتصها بها أجسادنا .

هزّ (أكرم) كتفيه ، وأسبل جفنيه ، قائلاً :

- ربما .

ران عليهم الصمت بضع لحظات ، واستلقت (نادية) تحت الظل ، وأغلقت عينيها ، ثم لم تلبث أن راحت في نوم عميق ، فتمتم (نور) :

- من الواضح أن (نادية) مجهدة للغاية .. لقد

غرقت في النوم بسرعة .

تمتم (أكرم) في خمول :

- إنني أحسدها في الواقع .

سأله (نور) :

- ولمَ لا تخلد للنوم مثلها ؟

صمت (أكرم) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- لست أدري .

ولوهلة ، بدا وكأنه سيكتفي بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه لم يلبث أن استطرد في خفوت :

- الاستغراق في النوم يحتاج إلى الشعور بالأمان ، وأنا أفتقر إلى هذا الشعور ، منذ حملنا المكوك الفضائي إلى القمر .

قال (نور) ، وهو يسترخي بدوره :

- ولكننا نشعر بإجهاد حقيقي هنا ، وكأننا بذلنا جهدًا خرافيًا ، ومن الطبيعي أن نستسلم للنوم ، ولو لبضع دقائق .

هزّ (أكرم) كتفيه ثانية ، وقال :

- هذا صحيح ، ولكن حتى شعورنا بالإجهاد هذا يقلقني ، خاصة وأنني لا أجد له سببًا منطقيًا .

وافقه (نور) بإيماءة من رأسه ، وقال :

- ما يحيرنى أكثر ، بشأن هذا الشعور بالإجهاد ، هو أنه ، وعلى عكس المنطقى ، ينخفض مع مرور الوقت ، على الرغم مما نبذله من جهد وتعب ونشاط .

انعقد حاجبا (أكرم) بشدة ، وفتح عينيه ، وكأنما ينتبه إلى هذه الحقيقة لأول مرة ، ثم اعتدل جالسًا ، وهو يقول فى انفعال :

- هذا صحيح يا (نور) .. يا إلهى !.. هذا صحيح بالفعل .. عندما هبطنا هنا ، كنت أجد صعوبة شديدة ، وأبذل جهدًا حقيقيًا لأقف على قدمى متماسكًا ، أما الآن ، فها نحن أولاء نقطع صحراء جرداء على متن جياد قوية ، وتحت شمس حارقة ، دون أن نسقط فاقدى الوعى ، وهذا دليل على أن الإجهاد يقل بالفعل .

ثم التفت إلى (نور) ، متسائلاً :

- كيف هذا فى رأيك ؟!

تلفت (نور) حوله ثانية فى صمت ، قبل أن يقول :

- أعتقد أنه أمر يتعلق بالكوكب نفسه ، أو بهذا العالم الثالث ، خلف الفجوة السوداء .

سأله (أكرم) فى اهتمام :

- ماذا تعنى ؟!

هز (نور) كتفيه ، قائلاً :

- هذا هو التفسير الوحيد ، الذى يتفق مع منطق وواقع الأمر ..

هناك شىء ما فى هذا العالم ، يختلف عما اعتدناه فى عالمنا ، وهذا الشىء أصابنا بإجهاد شديد ، عندما وصلنا إلى هنا ، إلا أن أجسادنا راحت تتكيف مع هذا الشىء الجديد رويدًا رويدًا ، ومع تكيفها ، قل شعورنا بالإجهاد تدريجيًا ، وعندما يصبح التكيف تامًا ، سينتهى هذا الشعور إلى الأبد .

صمت (أكرم) لحظات ، وقد انعقد حاجباه فى شدة ، وتعلقت عيناه بوجه (نور) ، ثم لم يلبث أن تراجع ، مغمغمًا :

- لا يمكننى استيعاب الأمر تمامًا ، ولكننى أثق بك .

قالها ، وأسبل جفنيه ثانية ، ولاذ بالصمت التام ، وكأنه فى سبيله إلى النوم ..

أما (نور) ، فقد ظل صامتًا ، مفتوح العينين ، وعقله يراجع ذلك المنطق ، ويلقى على خلايا مخه الرمادية سؤالاً ملحًا بلا انقطاع ..

ترى ما ذلك العامل ، الذى لم تتكيف معه أجسادهم بعد ؟!..

ما هو ؟!..

* * *

« الزمن .. » .

هتفت (واتسن) بالكلمة في انفعال شديد ، جعل (خالد) يحدق في وجهه بدهشة ، مكررا في حيرة متوترة :

- الزمن ؟!

وزمجر العملاق ذو الأنياب ثانية ، وقال الشيخ في هدوء عميق باللغة الصينية :

- تحدث باللغة التي نفهمها يا رجل .

ولكن (واتسن) تجاهله تماما ، وهو يقول لرفيقه في حماس :

- هذا هو تفسير عدم تحقق نتائج معادلاتي يا رجل .. بل وتفسير ذلك الشعور بالإجهاد ، الذي انتابنا ، منذ وصلنا إلى هذا العالم .. هل سمعت ما قاله ذلك الشيخ .. آه .. معذرة .. نسيت أنك تجهل الصينية .. لقد سألني عما إذا كنا المتسببين في تلك الكارثة ، التي حدثت منذ مائة وتسعة وأربعين يوما .

سأله (خالد) في حذر :

- وما الذي يعنيه هذا ؟!

هتف (واتسن) :

- الكارثة حدثت منذ ستة أيام وخمس ساعات في عالمنا يا رجل .. أي منذ مائة وتسع وأربعين ساعة فحسب ، وبحسبة بسيطة ، ستجد أن الزمن في هذا العالم ، يختلف تماما عنه في عالمنا .. هنا يسير ببطء أكثر .. أكثر بكثير .

تفجر غضب العملاق في هذه اللحظة ، ولم يرق له حديثهما بلغة يجهلها الشيخ ، فزمجر بوحشية ، ولوّح بقبضته في ثورة ، فانقض حارساه على الرجلين ، ولكم أحدهما (خالد) في فكه ، فأسقطه أرضا ، وهو يتأوه في ألم ، مع إصابة يده ، في حين لكز الحارس الثاني (واتسن) بطرف رمحه الحاد في صدره ، فصرخ هذا الأخير في ألم :

- آه .. حذار أيها الوغد .. إنك تؤلم ضلعي المكسور .

قال الشيخ بالصينية ، في لهجة صارمة :

- تحدثا بلغة التفاهم .

لوّح (واتسن) بسبابته في وجهه ، وقال :

- أخبر ذلك العملاق أن كل يوم يمضي في عالمكم ، يساوي ساعة واحدة في عالمنا .

انعقد حاجبا الشيخ ، ولم تبد عليه علامات الفهم ، وهو يغمغم :

- ماذا تعنى ؟!.. لست أفهم شيئاً .

زفر (واتسن) فى توتر ، قائلاً :

- وليست لدى حصيلة لغوية تكفى للشرح .

بدا الضيق على وجه الشيخ ، والتفت إلى العملاق ، وتحدث معه بضع لحظات ، سأل (خالد) (واتسن) خلالها فى اهتمام مشوب بالقلق :

- ما الذى أخبرته به ؟!

أجابه (واتسن) فى انفعال :

- لن يمكنهم الفهم .. كنت أحاول إخبارهم أن كل يوم فى كوكبهم يساوى ساعة واحدة فى كوكبنا .

حدق (خالد) فى وجهه ، قائلاً فى دهشة بالغة :

- ماذا تعنى ؟!.. هل تقصد أن كل ما قضيناه هنا ، لا يساوى فى عالمنا أكثر من دقائق معدودة .

أجابه (واتسن) :

- بالضبط .. وهذا يعنى أنه ما زالت أمام قمرنا ثلاثة أيام إلا بضع ساعات ؛ ليسقط فى الفجوة ، ويضرب هذا الكوكب بمنتهى العنف .. وهذا بالنسبة لزمن

عالمهم فحسب . أما بالنسبة لزمن عالمنا ، فليس أمامه سوى أقل من أربع ساعات .

انعقد حاجبا (خالد) لحظة ، قبل أن يهز رأسه ، مغمغماً فى توتر :

- هذا أمر معقد عسير الفهم .

أشار (واتسن) إلى رأسه ، قائلاً :

- ليس بالنسبة للعلماء أمثالنا .

سأله (خالد) :

- ولكن هل يمكن أن يفيدنا فارق الوقت هذا ؟

مط (واتسن) شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- من يدرى ؟!.. ربما .

لم يكد يتم عبارته حتى أشار العملاق المخيف إليهما ، وقال عبارة ما ، بلغته غير المفهومة ، فاندفع الحارسان نحوهما ، وهتف (خالد) فى انزعاج :

- لا .. ليس ثانية .

ولكن الحارسين لم يهاجماهما هذه المرة ، وإنما دفعاهما أمامهما إلى خارج الزنزانة الرطبة ، فى حين استدار العملاق ، وسار أمامهم باعتداد ، وخلفه الشيخ فى خضوع ..

ولخمس دقائق كاملة ، راحت تلك القافلة الصغيرة

تقطع عددًا من الممرات الجبلية المعقدة المغلقة ، التي توزعت فيها مشاعل بدائية ، تتراقص نيرانها في بطء ، مع تيار الهواء الخافت ، الذي يجري في الممرات طوال الوقت ..

ثم فجأة ، وجد (خالد) و (واتسن) نفسيهما يعبران إلى قاعة ضخمة ، لها سقف صخري مرتفع ، وتحيط بها تماثيل كبيرة ، لفرسان داخل دروع ثقيلة ، تشبه تلك التي كانت مستخدمة في العصور الوسطى ، وفي نهايتها عرش ضخم مزدوج ، جلس فوقه عملاق هائل ، أزرق البشرة ، ناري الشعر ، له لحية كثة مهذبة ، وتطل من عينيه الحمراوين نظرة صارمة رهيبة ، تكاد نظرة صاحب الأنياب تبدو إلى جوارها وديعة بريئة ، وإلى جواره جلست امرأة جميلة ، بكل المقاييس الأرضية ، باستثناء شعرها الغزير ، المنسدل على كتفيها ، كحمم بركانية ملتهبة ، وبشرتها المائلة إلى الزرقة ، وشفتيها الزرقاوين الداكنتين ..

وحول ذلك العرش المزدوج ، اصطف عدد من العمالقة ، داخل دروعهم الصلبة القوية ، وكأنهم طاقم الحراسة الخاص لصاحبي العرش ..

أما في منتصف القاعة بالضبط ، فكانت هناك فتحة كبيرة مستديرة ، ينعكس عبرها ضوء خافت ، وتتصاعد منها أبخرة خفيفة ..

وأمام تلك الفتحة مباشرة ، كان يقف (أوتو) ..

الألماني (فردريش أوتو) بشحمه ولحمه ، وقد ضمد بعضهم جرح رأسه ، ونزع قميصه ، فبدا صدره العاري وهو يعلو ويهبط ، مع أنفاسه المضطربة المتلاحقة ..

وفي انفعال ، هتف (خالد) :

- ربّاه !.. إنه (أوتو) .

واتسعت عينا (واتسن) ، دون أن ينبس ببنت شفة ، في حين هتف (أوتو) ، عندما لمحهما :

- (خالد) .. (واتسن) .. حمدًا لله أنكما على قيد الحياة .

وحاول أن يندفع نحوهما ، إلا أن الحارسين من حوله أمسكاه في غلظة وقسوة ، في حين تقدم العملاق نحو صاحبي العرش ، وضرب صدره القوي بقبضته ، وهو يتحدث إليهما بلغته ، فرفعت الأنثى عينيها ، وتطلعت إلى (خالد) و (واتسن) لحظة ، وارتسمت على شفتيها ابتسامة خفيفة ، قبل أن تتحدث إلى العملاق ، وهي تشير إلى (أوتو) ، الذي هتف :

- أي قوم هؤلاء ؟!.. ما الذي سيفعلونه بنا ؟!

هتف به (واتسن) :

- تماسك يا رجل .. إنهم يحاولون استجوابنا ، وهذا يعني أنهم لن يحاولوا قتلنا بسرعة على الأقل .

لكزه حارسه بطرف رمحه في غلظة ، وصاح في وجهه بكلمات غير مفهومة ، فلاذ بالصمت ، وراح يراقب الأنثى ، التي حملت شفتاها ابتسامة جذلة ، وهي تواصل حديثها مع العملاق ، الذي التفت إليهما بدوره ، ثم تطلع إلى (أوتو) ، وبعدها أشار إلى الحارسين ، فدفعا (خالد) و (واتسن) أمامهما إلى حيث يقف الأنثى ، وما إن وصلا إلى تلك الفجوة المستديرة ، حتى اتسعت عيونهما في ارتياع ، وهما يحدقان فيها ، وهتف (خالد) :

- رباه !.. إنها تطل على حمم بركانية ملتهبة .

سرت موجة عنيفة من التوتر ، في جسد (واتسن) ، إلا أنه لم ينبس ببنت شفة ، في حين اتجه العملاق ذو الأنياب نحوهم ، وتحدث إلى الشيخ ، الذي ابتسم في هدوء ، والتفت إلى (واتسن) ، قائلاً بالصينية :

- زميلكما ادعى أنه لا يملك أية معلومات بشأن الكارثة .. انظرا مصير من يرفض التعاون معنا .

اتسعت عينا (واتسن) في ارتياع ، وقال في عصبية :

- فيم تفكرون أيها الأوغاد ؟!.. فيم ؟!

وسأله (خالد) في عصبية :

- ماذا قال يا (واتسن) ؟!.. ماذا قال ؟!

قبل أن يجيبه (واتسن) ، أشار العملاق ذو الأنياب إلى الحارسين ، اللذين يحيطان بـ (أوتو) ، فدفعا هذا الأخير نحو حفرة الحمم ، وهو يصرخ في ذعر :

- لا .. لا .. البركان .

وراح يقاوم في استماتة ، ولكن قوتهما كانت تفوق قوته عشر مرات على الأقل ، فصرخ (واتسن) :

- أيها الأوغاد .. أراهن أنه مجرد تهديد أجوف .. لا يمكن أن تكونوا بهذه القسوة والبشاعة .. مستحيل أن تفعلوا به هذا .. مستحيل !

ولكن العملاق أشار إلى الحارسين ثانية ، فدفعا (أوتو) بلا تردد ، وانطلقت صرخة رعب هائلة ، من حلق المسكين ، وهو يهوى من ارتفاع عشرين متراً ، في قلب الفجوة ..

وقلب الحمم ..

* * *

٧ - الطغاة ..

انطلق (نور) على جواده الأصفر القوي ، في قلب تلك الصحراء الصخرية القاحلة ، التي بدت وكأنها تمتد إلى ما لا نهاية ، تحت الشمس المحرقة ، وامتدت عبرها شقوق كبيرة ، توحي بأنها لم تذق الماء منذ سنوات طوال ..

وجف حلق (نور) ، حتى كاد ينافس تلك الصحراء الجرداء ..

إنه يفتقر إلى الماء ..

يفتقر إليه بشدة ..

منذ هبط مع رفاقه في ذلك العالم ، لم يذق أحدهم قطرة ماء واحدة ..

ودرجات الحرارة ترتفع ..

وترتفع ..

وترتفع ..

وكان عليه أن يتوقف أخيرًا ..

إنه يلهث بشدة ، من فرط التعب والعطش ، وكذلك جواده ، الذي غمر العرق جسمه ، وراح يطلق صهيلًا

منهكًا ، ويضرب الأرض بحوافره ، معلنًا عدم قدرته على المضي قدمًا ، دون أن يبل حلقه بالماء ..

ولكن أين يجد (نور) الماء ؟!..

أين ؟!..

وفجأة ، لاح له ذلك الفارس من بعيد ..

لم يكن ضخم الجسم كالآخرين ، ولكنه يقود جواده في مهارة ، ويتجه نحو (نور) مباشرة ، دون أن يرتدي درعًا ، أو يحمل سلاحًا ..

ولسبب ما في أعماقه ، لم يشعر (نور) بالخوف أو القلق ، وهو يراقب ذلك الفارس ..

بل ، وعلى العكس تمامًا ، لقد شعر بارتياح عجيب ، ارتياح عارم ، غمر جسده وكيانه كله ، وكأنه يثق في أن ذلك الفارس صديق حميم ..

صديق أتى لإنقاذه ومعاونته فحسب ..

وفي بطء ، راح الفارس يقترب ..

ويقترب ..

ويقترب ..

ثم اتضحت ملامحه ..

وبلا دهشة أو انبهار ، وكأنه يتوقع هذا وينتظره ، اعتدل (نور) على جواده ، وقال في ارتياح :



.. ولسبب ما في أعماقه ، لم يشعر (نور) بالخوف أو القلق ، وهو يراقب ذلك الفارس

ـ (محمود) ..

اقترب منه (محمود) بجواده ، وهو يحمل على شفتيه ابتسامة كبيرة ، وعدّل منظاره الطبي فوق أنفه ، وهو يقول :

ـ نعم .. هو أنا يا (نور) .

قال (نور) في هدوء :

ـ كنت أنتظرك ، منذ وصلنا إلى هنا .

تطلّع إليه (محمود) لحظة في صمت ، ثم قال بلهجة مخلصة :

ـ لن أتخلّى عنك أبدًا يا (نور) .

ثم هزّ رأسه ، قبل أن يضيف :

ـ الواقع أنني وجدت بعض الصعوبة ، في الوصول إليك هنا .

سأله (نور) في لهفة :

ـ ما هذا العالم يا (محمود) ؟!.. ما طبيعة الخطر ، الذي نواجهه فيه .

تنهّد (محمود) ، قائلًا :

ـ خطر رهيب يا (نور) .. رهيب للغاية .

ثم مدّ يده إليه ، وهو يقول في هدوء وعمق :

ـ تعال يا (نور) .

وبلا تردد ، مد (نور) يده إليه ، وتلامست أصابعهما ، و ....

وفجأة ، تغير المشهد كله ..

لم يعودا على متن جواديهما ، فى قلب صحراء صخرية جرداء ..

لقد صارا داخل قاعة كبيرة ، تنتصب بالقرب من جدرانها الصخرية تماثيل ضخمة ، لفرسان داخل دروع قديمة ..

وفى أسى ، أشار (محمود) إلى حفرة كبيرة وسط القاعة ، تندلع منها نيران رهيبة ، وهو يقول :

- هنا يكمن الخطر يا (نور) .

سأله (نور) فى قلق :

- وهل من سبيل للتغلب عليه ؟

هز (محمود) رأسه فى أسى ، وقال :

- ليتنى أمتلك الجواب يا (نور) .. ليتنى أمتلكه .

ثم التفت إليه ، مستطردًا فى لهفة :

- ولكن اسمعنى جيدًا يا (نور) ، فالوقت الذى يمكننى إجراء الاتصال فيه معك قصير للغاية .. هذا العالم ليس شرًا خالصًا .. صحيح أنه يضم هؤلاء

الطغاة القساة ، الذين لا تعرف الرحمة سبيلا إلى قلوبهم ، ولكن هناك الآخرين أيضًا .

انعقد حاجبا (نور) ، وهو يقول فى توتر :

- الآخرون ؟!.. من تعنى يا (محمود) ؟!

كان جسد (محمود) يبتعد ويبتعد ، وصوته ينخفض ، وهو يقول :

- (بشت) .. تذكر يا (نور) .. (بشت) .

بدت الكلمة عجيبة ، غير ذات معنى ، فى أذنى (نور) ، فقال فى دهشة :

- (بشت) ؟!.. ماذا تعنى يا (محمود) ؟

ولكن جسد (محمود) كان يغوص فى ظلام دامس انتشر ليحل محل تلك القاعة الضخمة ، حول (نور) ، وصوته يزداد عمقًا وخفوتًا ، وهو يكرر :

- تذكر يا (نور) .. (بشت) ..

هتف (نور) :

- لا .. لا تذهب الآن .. انتظر يا (محمود) .. انتظر ..

وفجأة ، استيقظ عقله دفعة واحدة ، وفتح عينيه ، و ...

وانتفض جسده كله فى عنف ..

فأمام عينيه مباشرة ، كان يقف جواد قوى ، يصهل

بصوت خافت ، وعلى متنه شخص يتطلع إليه ، والشمس التي توسطت كبد السماء تسطع من خلف رأسه ، فتخفي ملامحه تقريبًا ..

ولكنه لم يكن عملاقًا كالآخرين ..

كانت قامته عادية متوسطة ، وجسده أقرب إلى النحافة ..

أما وجهه ، الذي لم تتضح ملامحه ، فقد كان يحمل ذلك الشيء ، الذي انتفض له جسد (نور) ، على الرغم من بساطته ..

كان يحمل منظارًا طبيًا ..

نفس طراز ذلك المنظار ، الذي رآه في حلمه مع (محمود) ، منذ لحظات قصار ، حتى إنه وجد نفسه يهتف :

– (محمود) ؟!

ولم يكد هتافه ينطلق ، حتى تراجع الجواد بحركة حادة ، وأطلق صهيلًا قويًا ، وانزاح رأس راكبه ، فضربت أشعة الشمس وجه (نور) مباشرة ، وأجبرته على إغلاق عينيه ، وهو يقفز من مكانه ، في نفس اللحظة التي جذب فيها الراكب عنان جواده ، ووثب به عبر الصخرة الضخمة ، ثم انطلق به عبر الصحراء الصخرية ، ووقع الحوافر يتردد في المكان ..

ومع قفزة (نور) ، هب (أكرم) من رقاده ، وانتزع مسدسه من جيبه ، هاتفًا في انزعاج :

– ماذا حدث ؟!

لم يجب (نور) عن سؤال (أكرم) ، وإنما اندفع نحو جواده ، ووثب على متنه ، وجذب جواده ، ووثب به عبر الصخرة ، وانطلق خلف ذلك الفارس المجهول ، و(أكرم) يهتف في عصبية :

– أجب يا (نور) بالله عليك .. أجب .. ماذا حدث ؟!

هبت (نادية) من رقادها بدورها ، هاتفة :

– ماذا هناك ؟

لوّح (أكرم) بمسدسه في عصبية شديدة ، وهو يقول :

– لست أدري .. اللعنة !.. لست أدري .

ثم وثب بدوره على متن جواده ، مستطردًا :

– انتظري هنا .. سأعود إليك .

وانطلق بدوره خلف (نور) ، وهو يتساءل في أعماقه : ما الذي أصاب (نور) ؟.. وما الذي يسعى خلفه بالضبط ؟!..

وفي نفس اللحظة ، التي دار فيها هذا التساؤل في

أعماقه . كان (نور) يعدو بجواده بكل قوته . خلف ذلك الفارس الغامض ، الذى اختفى بين الصخور الضخمة . على الرغم من أن وقع حوافر الجواد ما زال يتناهى إلى مسامعه ..

ولكن فجأة ، توقَّف وقع حوافر الجواد ..

وانعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وخفق قلبه فى عنف . ولكنه واصل انطلاقه نحو آخر منطقة ، سمع منها وقع حوافر الجواد . وعندما اقترب من صخرة ضخمة ، تصلح لاختفاء الفارس وجواده خلفها ، جذب عنان الجواد ، وتوقَّف مرهفًا سمعه بضع لحظات ، قبل أن يهبط عن جواده ، ويقترب من الصخرة فى حذر ، على أطراف أصابعه ، ثم وثب خلفها ، و ...

واتسعت عيناه فى شدة ..

فخلف تلك الصخرة الكبيرة ، كانت الصحراء تمتد لمسافة شاسعة منتظمة ، لا تحوى أية صخور ضخمة أو أشياء تصلح للاختباء خلفها ..

وعلى الرغم من هذا ، لم يكن هناك أثر للفارس المجهول وجواده ..

أدنى أثر ..

والتقى حاجبا (نور) فى شدة ، وسرت فى جسده

موجة من التوتر والغضب والحيرة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، فى نفس اللحظة التى وصل فيها (أكرم) إليه ، ولهث هاتفًا :

ـ ماذا حدث يا (نور) بالله عليك ؟.. لماذا فعلت هذا ؟!

أشار (نور) بيده ، قائلاً فى توتر :

ـ الفارس .. إنه ..

لم يستطع إتمام عبارته ، فقال (أكرم) فى دهشة :

ـ الفارس ؟!.. أى فارس يا (نور) ؟!

تردد (نور) لحظة ، ثم اندفع يروى له كل ما حدث .

ذلك الحلم ، الذى رأى فيه (محمود) ..

والفارس المجهول ..

واختفاؤه ..

واستمع إليه (أكرم) فى اهتمام بالغ ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ عجبًا !.. إنها قصة غريبة بحق يا (نور) .

قال (نور) ، بصوت يحمل شيئًا من الإرهاق :

ـ ولكنك تؤمن بقدرة (محمود) على الاتصال بنا بوسيلة ما .. أليس كذلك ؟!

أشار (أكرم) بيده ، قائلاً فى حسم :

- دون أدنى شك يا (نور) .. لقد اختبرت هذا بنفسى ، ولكننى أشك كثيرا فى قدرته على التجسد فى العالم المادى ، ولو للحظة واحدة .

غمغم (نور) :

- ذلك الفارس الغامض كان يشبهه .

تطلع إليه (أكرم) لحظة فى صمت ، ثم أدار عينيه فى المنطقة الخالية حولهما ، قبل أن يقول :

- (نور) .. أرجو ألا يضايقك قولى هذا ، ولكننى عندما انطلقت بجوادى خلفك ، لم يكن هناك فرسان غامضون أو عاديون ..

سأله (نور) فى توتر :

- هل تعتقد أننى توهمت هذا ؟

لوّح (أكرم) بكفه ، مجيبًا :

- إنه ليس أمرًا سخيفًا أو مهينًا يا (نور) .. إنها ظاهرة طبيعية إلى حد ما .. قد يستغرق المرء فى نوم عميق ، تراوده خلاله أحلام قوية ، حتى إنه يستيقظ من نومه ، دون أن يتلاشى الحلم من رأسه تمامًا .. ألم يحدث لك هذا من قبل ؟!

انعقد حاجبا (نور) فى غضب ، وهو يميل نحوه ، ملوّحًا بسبابته فى وجهه بحدة ، ويقول :

- لقد رأيت ذلك الفارس يا (أكرم) .. رأيته كما أراك أمامى الآن .. بل ولقد حجب رأسه الشمس عن وجهى لحظات ، والأحلام لا تفعل هذا ، مهما بلغ عمقها .

تطلع إليه (أكرم) لحظة ، ثم قال :

- فليكن يا (نور) .. أنا أثق تمامًا فى عقليتك ، وليس لدى أدنى شك فى حسن إدراكك للأمور .. إنما كنت أحاول البحث عن تفسير منطقى فحسب .. فلو أنه هناك فارس بالفعل ، فأين اختفى ، فى منطقة جرداء كهذه ؟!

تلفت (نور) حوله مرة أخرى ، قبل أن يتنهد ، ويهز رأسه ، قائلًا :

- لست أدرى يا (أكرم) .. لست أدرى يا صديقى .. حتى المنطقة التى اختفى فيها ذات طبيعة صخرية صلبة لاتسمح بترك آثار يمكن تتبعها .

ارتفع حاجبا (أكرم) ، وهتف فجأة فى حماس :

- ولكن المنطقة التى كنا فيها ليست كذلك .

رفع (نور) إليه عينين متسائلتين ، قبل أن يهتف فجأة :

- آه .. بالطبع يا (أكرم) .. لا ريب فى أنه قد ترك آثاره هناك .

ثم عاد إلى جواده ، ووثب على متنه ، مستطردا :

ـ وسنجدها بإذن الله .

انطلقا يعدوان بجواديهما ، عائدين إلى الصخرة ، التي تركا عندها (نادية) ، و (أكرم) يسأله لاهثا :

ـ هل تعتقد أن تلك الآثار يمكن أن تفيدنا ؟

أجابه (نور) ، وهو يلكز جواده بكعبيه ، ويحثه على الانطلاق أسرع :

ـ أية معلومات ، يمكننا الحصول عليها هنا ، ستفيدنا حتما يا رجل .. على الأقل في فهم طبيعة ذلك العالم ، الذي أجبرتنا الظروف على التواجد فيه .

غمغم (أكرم) بصوت مبحوح ، من شدة العطش :

ـ هذا صحيح .

واصلا الانطلاق بجواديهما ، حتى بلغا تلك الصخرة ، فأشار إليها (أكرم) ، قائلاً :

ـ لو أن ذلك الفارس المجهول ترك آثارا واضحة ، فسوف ..

قاطعه (نور) ، وهو يهتف فجأة بانزعاج شديد :

ـ يا إلهي !.. (نادية) !

ومع هتافه ، انتبه (أكرم) إلى الموقف ..

فعند تلك الصخرة الكبيرة ، لم يكن هناك أثر لـ (نادية) ..

لقد اختفت ..

اختفت تماما ..

* * *

ـ فكرتك منطقية ، ولكنها غير قابلة للتنفيذ يا (رمزى) ..

نطقت (نشوى) العبارة في حزم ، لا يخلو من التوتر ، وهي تتطلع إلى زوجها (رمزى) ، فسألتها (سلوى) في توتر :

ـ لماذا يا (نشوى) ؟

أجابتها (نشوى) ، في شيء من العصبية :

ـ لأن النوم لن يأتى بهذه السهولة .

قالت (مشيرة) في توتر :

ـ ولكنه سيأتى حتما ، فالمرء لا يقضى عمره كله بلا نوم .

أومأت (نشوى) برأسها موافقة ، وقالت :

ـ هذا صحيح ، ولكن متى يأتى النوم ؟!.. هل نسيتم أننا لا نملك سوى أربع ساعات ، إلا قليلاً ، قبل أن يسقط القمر في تلك الفجوة السوداء .. من أدرانا أن سقوطه فيها لن يسحق أبى ورفاقه ، قبل أن يستغرق أحدنا في النوم .

امتقع وجه (سلوى) ، وهي تغمغم :

- رباه !!.. هذا صحيح .
وقالت (مشيرة) في شحوب :
- هل .. هل فقدنا آخر أمل ؟
أجابها (رمزى) فى حزم :
- ليس بعد .
استدارت العيون كلها إليه ، فاستطرد :
- عندما أشرت إلى النوم ، لم أكن أقصد حالته الطبيعية . فأنا أعلم أن الوصول إليها يستغرق أكثر مما لدينا من وقت بالفعل ، ثم إن استخدام العقاقير المنومة قد يعوق عملية الاتصال ؛ لوجود مواد غير طبيعية في المخ . وهذا يعنى أنه ليست لدينا سوى وسيلة واحدة للوصول إلى النوم بالسرعة المنشودة .
هتفت (نشوى) في حماس ، وقد أدركت ما يرمى إليه :
- التنويم المغناطيسى .
أشار بسبابته ، قائلاً :
- بالضبط .
بدا القلق على وجه (مشيرة) ، وهى تقول :
- ولكن هل تعتقد أن الشخص الخاضع للتنويم

المغناطيسى ، يمكنه إتمام الاتصال مع (محمود) ، تمامًا كالشخص النائم ؟!
هزّ كتفيه ، قائلاً :
- ربما .. لا يمكننى الجزم بهذا . فنحن لا نعلم بعد ما إذا كان بإمكاننا إجراء اتصال ما مع (محمود) بإرادتنا أم لا .. كل معلوماتنا ، حتى هذه اللحظة ، هى أنه يستطيع الاتصال بنا فقط ، عندما نستغرق فى النوم ، والتنويم المغناطيسى يمكن أن يدفع المرء إلى حالة من النوم الطبيعى ، لو أننا أمرناه به . ونحن بإجراء كهذا إنما نمنح (محمود) فرصة إتمام الاتصال ، لو أنه يسعى لهذا .
غمغمت (سلوى) في مرارة :
- إذن فلا يمكن أن يتم الاتصال ، إلا لو كان (محمود) يرغب في هذا .
تطلّع إليهما (رمزى) لحظة في صمت ، ثم اتجه إليها ، ومال يتطلع إلى عينيها مباشرة ، وهو يقول :
- اسمعى يا (سلوى) .. عندما أجرى (محمود) اتصاله بنا جميعًا ، فى ليلة واحدة ، كان يرغب في توجيه رسالة مشتركة إلينا .. رسالة تؤكد أنه لن يتخلى عن (نور) و (أكرم) أبدًا ، وأنه سيبذل

قصارى جهده لمعاونتهما ، وهذا يعني أنه لو كانت لديه أية وسيلة ، يمكننا استخدامها من أجلهما ، فسيسعى للاتصال بنا في أقرب فرصة .. وثقى في أنه يراقبنا الآن ، ويدرك ما نفعله للاتصال به .. لست أدري بالطبع كيف يفعل هذا ، ولا ما الذي تحول إليه ، بعد أن أصابته تلك الصدمة العنيفة من الطاقة ، في مجرى الزمن(*) ، ولكن الرسائل التي يرسلها إلينا ، في عالم أحلامنا ، تؤكد أنه ، في وضعه الجديد ، يستطيع معرفة الكثير .

غمغمت (سلوى) ، والدموع تترقرق في عينيها :

- هل تعتقد هذا ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وهو يجيب :

- بالتأكيد .

هتفت (نشوى) :

- حسنًا .. هيا نبدأ على الفور يا (رمزى) .. دعنا لا تضيع أية لحظة .

اعتدل ، قائلاً :

- فليكن .. من سيتطوع .

(*) راجع قصة (الزمن - صفر) .. المغامرة رقم (١٠٠)

قفزت (سلوى) من مقعدها ، هاتفة :

- أنا .

وقبل أن تفتح (نشوى) أو (مشيرة) شفاههما للاعتراض أو المناقشة ، أجابها (رمزى) بسرعة :

- عظيم .. عودى إلى مقعدك .. سنبدأ فورًا .

عادت (سلوى) إلى مقعدها ، وخفق قلبها في قوة ، وهي تتطلع إلى عيني (رمزى) ، اللتين بدتا أكثر عمقًا ، كصوته وهو يقول :

- استرخى يا (سلوى) .. اتركى جسدك يسترخى على المقعد .. لا تقاومى .. كل شيء سيصبح على ما يرام .. كل شيء ..

خيل إليها أنها تغوص في عيني (رمزى) ، وأنهما قد اتسعتا على نحو عجيب ؛ حتى كادتا تبتلعان جسدها كله ، وصوته يأتى من أعماق سحيقة ، قائلاً :

- لا تقاومى يا (سلوى) .. لا تقاومى ..

ولم تقاوم (سلوى) ..

لقد تركت جسدها وكيانها كله يهوى في عينيه العميقتين ، وأحاط بها ظلام دامس لثوان ، ثم لم يلبث النور أن بدا من بعيد ، وراح يكبر ويشتد ويتسع .. ويتسع ..

ويتضح ..
وفي قلق، سألت (نشوى) زوجها :
ـ هل تعتقد أن الاتصال سيتم بالفعل ؟!
صمت (رمزى) لحظة، قبل أن يقول :
ـ إنها خاضعة للتنويم المغناطيسي تمامًا الآن، وكل المطلوب منا هو أن ندفعها إلى حالة من النوم الطبيعي، ثم ..
« أهلاً يا (رمزى) .. » ..
قاطعته تلك العبارة، التي خرجت من بين شفتي (سلوى)، فانتفض جسده كله في عنف، وارتد إلى الخلف، حتى كاد يرتطم بـ (مشيرة)، التي تحمل (محمود) الصغير بدلا من (سلوى)، التي شهقت هاتفة :
ـ رباه .. مستحيل !..
أما (نشوى)، فقد تجمد جسدها كله، وسرت قشعريرة باردة كالثلج، وهي تحدق في وجه أمها في ذهول ..
فذلك الصوت، الذي نطقت به (سلوى) العبارة، لم يكن أبدًا صوتها ..
بل ولم يكن صوتًا أنثويًا على الإطلاق ..

لقد كان صوت شخص آخر، فقدوه منذ فترة ليست بالطويلة ..
صوت (محمود) ..
وبمنتهى الوضوح ..

☆ ☆ ☆

« مستحيل !.. مستحيل !!.. » .
أطلق (خالد) الصرخة في ألم ومرارة، وهو يضرب جدار الزنزانة الرطبة بقبضته اليسرى في سخط غاضب، في حين تكاد يده اليمنى المحطمة تطلق صرخات ألم وعذاب مماثلة، فرفع (واتسن) عينيه المحمرتين إليه، وعض شفتيه قهرًا وألمًا، دون أن ينبس ببنت شفة، فاستطرد (خالد) بلهجة أقرب إلى البكاء :
ـ لقد قتله هؤلاء الأوغاد بأبشع وسيلة ممكنة، دون أن يطرف لهم جفن .. ألقوا (أوتو) المسكين في قلب الحمم(*)، لتلتهمه، دون أن تأخذهم به رحمة أو شفقة .

(*) الحمم البركانية (لافا) صخور منصهرة، تخرج من باطن الأرض، خلال شقوق في سطحها، أو عبر فوهة البركان، وينشأ عن تراكمها وتجمدها مخروطات البراكين، والهضاب البركانية الواسعة

عض (واتسن) شفتيه مرة أخرى ، وهو يغمغم فى مرارة :

ـ رحمة أو شفقة ؟!.. إن صرخة ذلك المسكين لن تفارق أذنى قط ، بكل ما حملته من رعب وألم وعذاب ، ومشهد سقوطه فى قلب الجحيم ، وألسنة اللهب التى تصاعدت بعدها ، لن يمحى من ذهنى ما حييت ، وعلى الرغم من هذا ، فقد أطلقت تلك المرأة الزرقاء اللعينة ضحكة ساخرة عالية ، وكأنها تشاهد عرضًا هزليًا طريفًا .

ضرب (خالد) الجدار بقبضته ثانية ، وهو يصرخ :

ـ أريد أن أقتلهم .. أريد أن أقتل هؤلاء الأوغاد يا (واتسن).. أريد أن ألقيهم وسط تلك الجحيم ، كما فعلوا مع (أوتو) المسكين .

هزّ (واتسن) رأسه فى ألم ، قائلاً :

ـ حلم بعيد المنال يا صديقى .. إن كل ما أحلم به الآن هو أن نخرج من هنا أحياء .

وتهدّج صوته فى مرارة ، وهو يستطرد :

ـ وحتى هذا ، يبدو لى الآن حلمًا بعيد المنال .

ضرب (خالد) جبهته براحته ثلاث مرات متتالية فى عنف ، قبل أن يلتفت إليه ، قائلاً :

ـ ولكن لماذا ؟!.. لماذا فعلوا هذا ؟!.. لقد قتلوا (أوتو) المسكين ، بهذه الطريقة البشعة ، ثم أعادونا إلى زنزانتنا ، دون أن يلقوا علينا سؤالاً واحدًا .. لماذا ؟! لماذا ؟!

أشار (واتسن) بيده ، مجيبًا :

ـ لأن الغرض تحقق يا رجل ، وانتزع الرعب فى قلوبنا .. هذا ما ينشدونه بالضبط .. نوع من الحرب النفسية .. لقد أرونا ما سيحدث ، لو لم نتعاون معهم ، ثم أعادونا إلى هنا ، وتجاهلونا لأكثر من ثلاث ساعات ، حتى تتحطم أعصابنا أكثر وأكثر .. نفس ما كان يفعله (الجستابو)(*) ، فى الحرب العالمية الثانية(**) :

(*) الجستابو : قوة البوليس السرى لألمانيا النازية ، والاسم اختصار لكلمة (البوليس السرى) بالألمانية ، ظهرت لأول مرة عام ١٩٣٣م ، وأصبح (هنريش هيملر) رئيسها خلال الحرب العالمية الثانية ، وعمل على استخدامها لقمع كل الدول التى احتلتها (ألمانيا) فى (أوروبا) .

(**) الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥م) : حرب نشبت بسبب السياسة العدوانية لقوات المحور (ألمانيا ـ إيطاليا ـ اليابان) ، واجتاحت (ألمانيا) النازية معظم دول (أوروبا) فى مرحلتها الأولى ، ثم احتدم الأمر بدخول (أمريكا) الحرب ، إلى جوار (إنجلترا) و (فرنسا) و (روسيا) ، وبدأت قوات (هتلر) فى التراجع ، وجرت الهزيمة بسرعة ، فانتحر (هتلر) ، وسقطت (ألمانيا) وبعدها (اليابان) .

تتحطم أعصاب من يرغبون في استجوابهم ، حتى يصبحوا عجينة لينة ، وتنهار مقاومتهم تماما عندما يبدأ الاستجواب الفعلي .

هزّ (خالد) رأسه في عنف ، وهو يهتف :

- يا للبشاعة !.. يا للبشاعة !

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى ارتفع باب الزنزانة الثقيل ، وبدا عنده ذلك الشيخ الضئيل ، محاطا بحارسين قويين ، فتراجع (خالد) ملتصقا بالجدار الرطب ، وهو يهتف :

- ماذا هناك ؟!.. ماذا تريدون هذه المرة ؟

انقضّ الحارسان عليه وعلى (واتسن) في وحشية ، ودفعاهما أمامهما في قسوة ، والشيخ يبتسم في هدوء متشفٍ ، ويقول بالصينية :

- مجرّد حديث قصير .

استعاد (خالد) مشهد حفرة الجحيم ، ودوى صرخة الرعب ، التي أطلقها (أوتو) المسكين ، وهو يسقط في قلبها ، فصاح في عنف :

- لا .. لن أسمح لكما .

ولكن الحارس الذي يقوده انقضّ عليه في وحشية مخيفة ، وهوى على كتفه بذراع رمحه ، ثم أمسك

شعره في قسوة ، وضرب رأسه بالجدار في عنف ، وهو يصرخ بكلمات غير مفهومة ، فهتف (واتسن) :

- اتركه أيها الوغد .. اتركه .

انقضّ عليه حارسه بدوره ، ولكمه في معدته لكمة شديدة العنف ، كاد يفرغ معها معدته الخاوية عبر فمه ، وهو يتأوّه في قوة ، فابتسم الشيخ ، وقال في بطء وفتور :

- بإرادتكما أو قسرا .. لا فارق لدينا .

لهث (واتسن) ، وهو يمسك معدته بقوة ، ولوّح بيده الأخرى ، وهو يقول في ألم :

- لا داعي للعنف .. لا داعي .

واستسلم مع (خالد) لحارسيهما ، اللذين راحا يدفعانهما في غلظة وخشونة ، عبر ممرات أخرى صخرية ، فغمغم (خالد) في عصبية :

- هل تعتقد أنهم سيلقوننا في حفرة النار ؟!

ولم يجب (واتسن) عن السؤال ..

لم يكن باستطاعته فعليا أن يجيب ..

ليس لأنه لا يستطيع استنتاج الخطوة التالية فحسب ، ولكن لأن حلقه الجاف ، الذي لم ترطبه قطرة ماء

واحدة ، منذ وصولهم إلى هذا الكوكب ، كان عاجزا عن انتزاع حرف واحد من أعماقه ..

ولكن الشيء الوحيد ، الذي جعله يشعر ببعض الارتياح ، هو أن تلك الممرات الصخرية ، التي كانوا يعبرونها ، تختلف عن تلك التي عبروها من قبل ، عندما ذهبوا إلى القاعة الكبيرة ، حيث حفرة النار ..

ولقد استغرق سيرهم ، عبر تلك الممرات ، ربع ساعة كاملة ، حتى انتهى بهم الأمر إلى حجرة واسعة ، منحوتة في قلب الصخور ، تقف داخلها تلك المرأة الزرقاء ، مع العملاق ذي الأنياب الحادة ، وبرفقتهما رجل ضخم الجثة ، هائل الحجم ، يصلح كصورة مثالية للقسوة وبلادة التفكير ..

وتحدث الشيخ إلى المرأة ، وهو يشير إليهما ، فتطلعت إليهما بنظرة لا تقل عن ابتسامتها سخرية ، ثم أشارت بعظمة وخيلاء ، فالتفت الشيخ إلى (واتسن) ، وقال بالصينية :

- الأميرة (بلوميا) قررت استجوابكما بنفسها ، مع القائد (هارلاك) .

غمغم (واتسن) بالأمريكية :

- (بلوميا) و (هارلاك) .. عظيم .. أخيرا أصبح للأوغاد أسماء .



تطلعت إليه الأميرة (بلوميا) بنظرة ساخرة ، في حين أطلق (هارلاك) ذو الأنياب زمجرة مخيفة .

٨ - نفر الخدم ..

عض (أكرم) شفته السفلى في مرارة وقسوة ، حتى كاد يقطعها ، وهو يقول :

- لن أسامح نفسي قط .. أنا السبب فيما حدث .. أنا تركتها وحدها ، دون سلاح أو حماية .. أنا المسئول .

تطلع إليه (نور) في صمت ، ثم عاد يفحص تلك الآثار المحيطة بالصخرة ..

كان من الواضح أن عددًا كبيرًا من الخيول كان هنا .

آثار حوافر الجياد تمتزج ببعضها البعض على نحو عجيب ..

ولكن ما يدهشه بحق ، أنه لا يوجد أثر للمقاومة ..

لقد ذهبت (نادية) مع راكبي الخيول أولئك ، دون قتال ..

أو بمعنى أدق ، ذهبت بإرادتها ..

ولكن كيف ؟!..

ولماذا ؟!..

« لن أسامح نفسي أبدًا .. » ..

كرر (أكرم) العبارة للمرة العاشرة ، منذ عودتهما إلى الصخرة ، فالتفت إليه (نور) هذه المرة ، وقال في صرامة :

- كف عن لوم نفسك يا رجل .. لست المسئول عما حدث .

هتف (أكرم) ، وهو يلوّح بيده في حدة :

- ولكنني تركتها وحدها .

قال (نور) في عصبية :

- لقد دفعوك إلى هذا .

ثم أشاح بوجهه ، مستطردًا في مرارة :

- أقصد أنهم دفعونا إلى الابتعاد .

حدق (أكرم) في وجهه بدهشة ، قبل أن يقول :

- (نور) .. ماذا تعني بقولك هذا ؟

تنهد (نور) في أسى ، وقال :

- كانت خدعة يا (أكرم) .. ظهور ذلك الفارس الغامض كان مجرد خدعة ، دفعتنا لمطاردته دون تفكير ، حتى تبقى (نادية) وحدها .

ارتفع حاجبا (أكرم) بدهشة أكثر ، وهتف :

- أتعني أنها كانت خطة مدبرة لاختطافها ؟

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، فاستطرد (أكرم) في حدة :

- ولكن لماذا ؟.. لماذا هى بالذات ؟!

تنهد (نور) ، وقال :

- من يدرى ؟!

ثم عاد يتطلع إلى الآثار المحيطة بالصخرة ، مستطردًا :

- كل شىء حولنا يحمل قدرًا هائلًا من الغموض والغرابة يا رجل ، والتفسيرات تحتاج إلى جهد يفوق ما لدينا .

اتسعت عينا (أكرم) فى شىء من الارتياع ، قبل أن يهز رأسه فى قوة ، قائلًا :

- مازلت لن أسامح نفسى أبدًا ، وسأعتبر أننى المسئول ، حتى عن الوقوع فى مثل هذه الخدعة الحقيرة .. لا يمكننى أن أتخيل مصير تلك المسكينة ، بين أيدى عمالقة قساة كهؤلاء الأوغاد ، ولا ..

قاطعه (نور) ، وهو يقول :

- ليسوا هم ..

مرة أخرى حدق (أكرم) فى وجهه ، مرددًا فى دهشة :

- ليسوا هم ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يشير إلى آثار حوافر الجياد ، قائلًا :

- هذه الجياد ليست لها حدوة تقليدية كالجياد الأخرى ، بل قطعة بيضاوية ، تلتصق بحوافرها دون مسامير ، وهذا شىء لا يمكن أن يتوصل إليه العمالقة البدائيون .

سأله (أكرم) فى توتر :

- أتعنى أنه يوجد آخرون ؟!

استعاد (نور) حديث (محمود) فى الحلم ، وتمتم :

- بالتأكيد يوجد آخرون .

وعاد يتلفت حوله ، إلى المنطقة الخالية ، الممتدة إلى مدى البصر ، قبل أن يضيف فى توتر :

- فى مكان ما .

حاول (أكرم) أن يقول شيئًا ، ولكنه شعر وكأن جفاف حلقه الشديد يمنعه من هذا ، مع أشعة الشمس الحارقة ، فمسح عرقه الغزير بيده ، وهو يغمغم بصوت متحشرج :

- اللعنة !.. سنلقى حتفنا عطشًا على هذا الكوكب الملعون .

كان (نور) يشاركه شعوره بالعطش الشديد ، فتمتم فى صعوبة :

- لا ريب في أنه يوجد ماء هنا ، في مكان ما ، وبصورة ما .. كل الأحياء هنا يحتاجون إلى الماء حتمًا ، حتى ..

وبتر عبارته بغتة ، وانعقد حاجباه في شدة ، قبل أن يكمل :

- حتى الجياد .

قالها ، وهو يرفع عينيه إلى الجوادين في لهفة ، فسأله (أكرم) :

- ماذا هناك ؟!

اندفع (نور) نحو الجوادين ، وتحسس عنق أحدهما ، وهو يقول :

- كيف لم أنتبه إلى هذا ؟.. الجوادان لم يصابا بالجفاف ، ولا بأية علامة من علاماته .. وهذا يعني أنهما لا يعانيان من العطش ، مثلما نعاني منه ، على الرغم من أنهما يعدوان تحت أشعة الشمس المحرقة طوال الوقت .

تطلع (أكرم) إلى الجوادين في لهفة ، وهو يقول :

- ربما كانت الجياد على هذا الكوكب ، من الحيوانات المجترة(*) .

(*) الحيوانات المجترة : حيوانات يمكنها أن تأكل كميات من الطعام ، تفوق احتياجاتها الفعلية ، وتختزن فائضه لأكله ثانية ، عندما يقل الطعام ، ومن أشهر الحيوانات المجترة البقر .

هز (نور) رأسه نفيًا ، وقال :

- لست أعتقد هذا .. الحيوانات المجترة ينبغي أن تكون أكبر حجمًا ، حتى تجد مكانًا لاختزان الطعام والشراب الزائد ، أما هذه الجياد ، فجسدها القوي يشف عن أنها لا تملك أية إضافات ، تصلح كمخزن لأي شيء .. الأرجح أن هذه الجياد تحصل على الماء من مصدر ما .

انعقد حاجبا (أكرم) في شدة ، وهو يقول :

- من أين ؟!.. إننا في قلب صحراء جرداء .

أدار (نور) عينيه فيما حوله ، وهو يقول في حزم :

- الجياد تعرف أين يوجد الماء .. إنها تعثر عليه بوسيلة ما .. ربما تشم رائحته ، أو تدرك مصادره ، ولكنها تعثر عليه .

ثم التقى حاجباه في تفكير عميق ، مع استطرادته :

- إننا نعدو طوال الوقت ، منذ غادرنا تلك الأطلال ، ولم نتوقف سوى هنا ، والجوادان لم يغادرا المنطقة ، حتى استيقظنا من نومنا ، وهذا يعني أنهما حصلا على الماء هنا .

وتعلق بصره بالأرض ، محاولًا تحديد حركة الجوادين ، من آثار الحركات في حوافرهما ، ثم أشار إلى ركن الصخرة الضخمة ، قائلًا في حماس :

- هناك .

قالها ، واندفع مع (أكرم) إلى ذلك الركن ، وحدق الاثنان في فتحة كبيرة ، صنعتها حوافر الجياد هناك ، وفي سائل عجيب ، يجرى فيها بسرعة ، وكأنما هو جزء من نهر خفي ، تحت تلك الصحراء الجرداء ..

وفي دهشة تمتزج بالامتعاض ، تطلع (أكرم) إلى السائل ، مغمغما :

- رباه !.. أي شيء هذا ؟!..

لقد كان لذلك السائل لون قرمزي ، جعله أشبه بنهر من الدم ..

الدم البشري ..

* * *

فجأة ، انتبهت (نادية) ..

فجأة ، وبلا مقدمات ، أدركت أنها تسير وسط فريق من الرجال ، عبر ممرات صخرية ، ينبعث من سقفها ضوء فسفوري هادئ ..

وتفجرت في أعماقها دهشة بالغة ..

كيف وصلت إلى هذا المكان ؟!..

ومن هؤلاء القوم ؟!..

ولماذا تسير معهم في هذا المكان ؟!..

بل كيف فعلت هذا ؟!..

آخر ما تذكره هو أنها كانت تجلس في ظل تلك الصخرة الكبيرة ، في قلب الصحراء الجرداء ، بعد أن تركها (أكرم) ، وانطلق خلف (نور) ..

ثم ضرب ذلك الضوء البنفسجي جانب وجهها ..

والتفتت إليه ، و ...

ووجدت نفسها هنا ..

فما الذي جرى بين الحدثين ؟!..

وماذا أصابها ؟!..

وما ذلك الضوء البنفسجي ؟!..

انطلقت عشرات الأسئلة تتصارع في عقلها ، فتوقفت عن السير بغتة ، وهتفت :

- من أنتم ؟ وكيف أحضرتموني إلى هنا ؟!

توقفت القافلة الصغيرة على الفور ، وانتبهت إلى ملامح أصحابها لأول مرة ، وهم يتطلعون إلى بعضهم البعض في قلق ..

لم يكونوا عمالقة كأولئك الآخرين ، بل كانت لهم أجساد عادية ، تشبه في حجمها وتكوينها الأجساد البشرية ، ولكن بشرتهم كانت تميل إلى الزرقة ، على نحو أقل بكثير من بشرة العمالقة ، وشعورهم كلها بيضاء ناصعة ، وكأنما وخطها الشيب عن آخرها ..

وكان بعضهم يرتدى منظارا طبيا ، شبيها بذلك المستعمل فى الأرض ، فى حين كانت الغالبية العظمى بدون مناظير ..

وبسرعة ، وكما علمتها تدريباتها المكثفة ، فى مركز إعداد المقاتلين الفضائيين ، تطلعت (نادية) إلى أيديهم ، وأدركت على الفور أنهم لا يحملون أية أسلحة ، باستثناء واحد له لحية قصيرة ، ويحمل شيئا أشبه بالمسدس ، وينتهى بفوهة متسعة كالبوق ..

وفى هدوء عجيب ، لمس أحدهم كتفها ، وهو يتحدث إليها بلغة لم تفهم منها حرفا واحدا ..

ولكن العجيب أنها شعرت مع حديثه بالارتياح ..

وبالثقة ..

وبناء على هذا الشعور ، عاودت سيرها عبر الممرات الصخرية ..

وبعد مسيرة دقيقة واحدة إضافية ، وجدت نفسها داخل تجويف صخرى هائل ، تناثرت فيه أكواخ صغيرة ، على جوانب طرقات شبه ممهدة ، تمتد فى خطوط مستقيمة ، وتتقاطع فى أكثر من موضع ..

وفى دهشة ، هتفت (نادية) :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. قرية فى باطن الجبل ؟!

لم يجب أحدهم عن سؤالها ، لأنهم لم يفهموا لغتها على الأرجح ، ولكنها واصلت السير معهم ، دون خوف أو وجل ، وهم يتجهون جميعا نحو كوخ كبير ، يبدا وكأنه مقر الرياسة أو الزعامة ، لذلك الكيان الاجتماعى المحدود ..

وأثناء مسيرتها القصيرة ، التقطت عينا (نادية) الكثير مما حولها ..

كان من الواضح أن هذا المجتمع المحدود منظم إلى حد كبير ، فهناك كرة ضخمة من الضوء ، فى قمة التجويف الصخرى ، تضىء المكان كله ، وهناك ما يشبه حديقة كبيرة ، يلهو داخلها عدد من الأطفال ، مع ثلاث مربيات هادئات ، والأكواخ أنيقة بسيطة ، تحمل كل مجموعة منها لونا خاصا ، وكأنها تشير إلى طبيعة فئة معينة من قاطنى الأكواخ ..

وعندما وصلت القافلة الصغيرة إلى ذلك الكوخ الكبير ، توقف الجميع فى احترام واضح ، فيما عدا صاحب اللحية القصيرة ، الذى يحمل السلاح الشبيه بالمسدس ، والذى أشار إليها بالدخول ، ثم تبعها إلى الداخل فى هدوء ،

وداخل الكوخ ، كان يجلس شيخ هادئ الملامح ، له لحية كبيرة بيضاء ، ورأس أصلع ، تطلع إليها لحظات في صمت ، ثم منحها ابتسامة هادئة وقور ، خفق لها قلبها ، قبل أن يتحدث إلى ذي اللحية القصيرة ، مشيرًا إلى جهاز ما ، في ركن الكوخ ..

وفي رفق ، جذب صاحب اللحية القصيرة (نادية) إلى ذلك الجهاز ، وأشار إليها بالجلوس على مقعد كبير في منتصفه ، فقالت متوترة :

ـ ما هذا بالضبط ؟!.. مقعد الإعدام ؟!

لم يفهم الرجل حرفًا واحدًا مما قالته ، ولكنه دفعها في رفق ولين ، فجلست فوق المقعد في هدوء ، وتطلعت إلى نقوش كبيرة ، أشبه بالنقوش الصينية ، فوق رأس الشيخ ، قائلة :

ـ هل يمكنني أن أفهم ما يحدث ؟!

التقط ذو اللحية القصيرة كرة أشبه بالخوذة ، ووضعها فوق رأسها ، ثم ضغط زرًا صغيرًا ، وتراجع مشيرًا بيده ، وهو يتحدث إليها بتلك اللغة ، التي لا تفهم حرفًا واحدًا منها ..

وارتجف جسد (نادية) ..

لقد خيل إليها أن تيارًا كهربيًا محدودًا قد سرى من

الخوذة إلى المقعد ، عبر جسدها ، الذي سرت فيه قشعريرة باردة ، جعلتها تقول في توتر :

ـ إنه ليس مقعد إعدام بحق .. أليس كذلك ؟!

ابتسم ذو اللحية القصيرة ، وهو يجيب :

ـ إنه ليس كذلك بالتأكيد .

هتفت في قلق :

ـ حقًا ؟!

ثم اتسعت عيناها في دهشة بالغة ، وهي تحدق في وجهه ..

إنها واثقة من أن اللغة التي استخدمها ، لا مثيل لها على كوكب الأرض ، فعلى الرغم من هذا فقد فهمت عبارته جيدًا ..

وأجابته باللغة نفسها ..

بل ولقد اكتشفت فجأة أنها تستطيع قراءة تلك النقوش ، فوق رأس الشيخ الوقور ..

وتفهمها جيدًا ..

إنها كلمة بلغتهم تعني (السلام) ..

نعم .. هي كذلك بالتأكيد ..

وفي هدوء ووقار ، ابتسم الشيخ الأصلع ، وقال :

ـ مرحبًا بك في (بشتوريا) يا بنيتي .

غمغمت ودهشتها تتعاظم :

ـ (بشتوريا) ؟!.. أهذا اسم القرية ؟

أومأ الشيخ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم يا بنيتي ، وهو يعني في لغتنا (أرض السلام) ، فالسلام هو هدفنا ، الذي نسعى إليه ، ونحاول تحقيقه واستعادته ، حتى ولو اضطررنا إلى أن نحارب في سبيل هذا .

قالت في دهشة :

ـ تحاربون من أجل السلام ؟!

تنهد ، وهز رأسه في أسف ، قائلاً :

ـ على الرغم من التناقض الظاهري للعبارة ، إلا أنها كثيراً ما تكون صحيحة وصادقة للأسف يا بنيتي .

قالت في عصبية :

ـ وهل اختطافكم لي أيضاً جزء من خطة البحث عن السلام ؟!

أجابها الشيخ في سرعة :

ـ بالتأكيد .

لم يرق لها ذلك المنطق ، فهزت رأسها في قوة ، وسألته في حدة :

ـ ولكن كيف أحضرتموني إلى هنا ؟!.. كيف جعلتموني أسير بينكم بإرادتي .. أقصد على الرغم من إرادتي ؟!.. وأين أنا الآن ؟!.. في أي مكان نحن ؟!

ابتسم ذو اللحية القصيرة ، وقال :

ـ أسئلتك كثيرة يا سيدتي .

قالت محتدة :

ـ ألن تفعل المثل ، لو أنك في موضعي ؟!

ابتسم الشيخ ، وقال في هدوء :

ـ لو أن (آرى) في موضعك ، لما ألقى الكثير من الأسئلة ، بل لقاتل على الفور ، وبمنتهى القوة والعناد والإصرار .

لم يبد أن هذا القول قد راق للمدعو (آرى) ، فقد أشاح بوجهه ، ومط شفتيه في صمت ، والشيخ يتابع :

ـ ولكنه على حق ، فأسئلتك كثيرة يا بنيتي ، وشغفك للمعرفة يفوق كل مشاعرك الأخرى ، وهذه سمة تميز العلماء في كل العصور ، فهل أنت كذلك ؟

هزت رأسها نفياً ، وشدت قامتها في اعتداد ، وهي تقول :

ـ بل أنا مقاتلة فضائية من طراز خاص .

انعقد حاجبا (آرى) في شدة ، في حين ارتفع حاجبا

الشيخ ، وهو يردد في دهشة :

ـ مقاتلة فضائية ؟!.. عجبًا !

وسألها (آرى) في اهتمام :

ـ ماذا تعنين بالطراز الخاص ؟!

انفرجت شفتاها لتجيب عن سؤاله ، إلا أن قواعد الأمن ، التي تدربت على اتباعها طويلاً ، لم تلبث أن استيقظت في أعماقها ، جعلتها تقول في شيء من الحدة :

ـ ليس هذا من شأنك .

أطل الغضب من عينيه ، وانقبضت أصابعه في حركة حادة ، في حين ابتسم الشيخ الوقور في هدوء ، وأشار بيده ، قائلاً :

ـ رويدك يا (آرى) .. من الواضح أن ضيفتنا تتميز بحدة الطباع إلى حد ما .

التفتت إليه (نادية) ، قائلة :

ـ ضيفتكم ؟!.. أتعشم أن يكون التوصيف صحيحًا ، ويعبر عن حقيقة موقفي هنا يا ....

أجابها في هدوء :

ـ (كاتو) .. الحاكم (كاتو) يا بنيتي .. وأعتقد أنه من الواضح أنك ضيفتنا بالفعل ، ولست أسيرة أو سجينة .. لقد أحضرك رجالنا إلى (بشتوريا) دون

عنف أو قسوة ، ولعلك لاحظت أنك لم تعودي جائعة أو عطشى ، فـ (آرى) يجيد العناية بالضيوف .

هتفت في دهشة :

ـ يا إلهي !.. هذا صحيح .. إنني أشعر بتحسن كبير .

أومأ الشيخ برأسه عدة مرات ، ثم مال إلى الأمام ، وسألها في اهتمام :

ـ والآن أخبريني يا بنيتي .. كيف وصلت مع رفاقك إلى كوكبنا ؟.. وهل لكم علاقة بتلك الكارثة الفضائية ، التي تهدد عالمنا كله بالفناء ؟!.. ثم إنك مقاتلة فضائية من طراز خاص ، كما أعلنت بنفسك ، فهل لهذا علاقة بوصولكم إلى هنا ؟!.. أأنتم طليعة غزو أو ما شابه ؟!

ارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهي تقول :

ـ وتتحدثون عن كثرة أسئلتي !

أشار الشيخ بيده ، قائلاً :

ـ من حقنا أن نعلم .

صمتت لحظة ، وهي تتطلع إليه في حذر ، ثم لم تلبث أن غمغمت :

ـ بالتأكيد .

ثم شدت قامتها في اعتداد ، وتابعت في حسم :

- سأروى لكما كل ما أعرفه فى هذا الشأن .

أشار الشيخ بسبابته إلى (آرى) ، وهو يقول :

- عظيم .. دعينا نستمع إليك .

صوّب (آرى) نحوها سلاحه ، بفوهته الواسعة ، إثر إشارة الشيخ ، فتراجعت قائلة فى عصبية :

- ماذا سيفعل ؟!

أشار الشيخ بيده ، قائلاً فى هدوء :

- اطمئنى .. إنه مجرد إجراء أمنى .

ومع قوله ، ضغط (آرى) زناد سلاحه ، فانطلق منه شعاع وردى ، لم يكد يسقط على جسدها ، حتى أحاطت بها هالة وردية ، والشيخ يتابع :

- لو أنك نطقت صدقًا ، فستظل الهالة المحيطة بك على لونها ، أما لو كذبت ، فستتحول إلى اللون الأزرق .

قالت فى توتر :

- آه .. شىء أشبه بجهاز كشف الكذب لدينا .. ولكن من أدراك أنه يصلح معنا ؟! ربما يختلف تركيبنا الكيميائى معكم .. بل هذا هو الأرجح ، مع اختلاف لون بشرتنا .

أشار الشيخ (كاتو) إلى صدره ، قائلاً :

- لون البشرة قد يختلف ، ولكن القلوب واحدة .

كانت العبارة فلسفية تمامًا ، ولا تتفق مع طبيعتها العلمية ، إلا أنها لوّحت بكفها ، قائلة :

- لا بأس .. لست أخشى شيئًا ، مادمت صادقة .

ثم التقطت نفسًا عميقًا ، وراحت تروى لهما كل ما تعرفه عن الكارثة ..

ذلك الانفجار الهائل فى الفضاء ..

وكارثة القمر ..

ورحلة (نور) و (أكرم) ..

والثقب الأسود ، الذى ابتلع المكوك ..

كل شىء ..

وعلى الرغم من أن روايتها قد استغرقت ما يزيد عن نصف ساعة كاملة ، إلا أن الحاكم (كاتو) و (آرى) استمعا إليها فى صمت وانتباه كاملين ، دون أن يقاطعاها بحرف واحد ..

ولم يتغير لون الهالة الوردية أبدًا ..

وعندما انتهت من روايتها ، وقفت (نادية) صامتة ، تتطلع إلى الحاكم ، الذى انعقد حاجباه فى شدة ، وارتسمت على وجهه علامات التفكير العميق ، وظل يداعب لحيته البيضاء الكثة بأصابعه طويلاً ، قبل أن يرفع عينيه إليها ، قائلاً :

- من الواضح أنك صادقة في كل ماذكرته يا بنيتي ، على الرغم من أن قصتك تحوي الكثير من الأمور المحيرة ، فالكارثة وقعت في عالمنا منذ فترة طويلة ، وليس منذ أقل من أسبوع ، كما ذكرت عن عالمكم ، ثم إننا لم نسمع قط عما تطلقون عليه اسم (الفجوات السوداء) .. فقط كان علماؤنا يتحدثون عن ثقوب بيضاء ، يمكن أن تهدد عالمنا يوما بخطر رهيب ..

ثم تنهد في عمق ، واستطرد :

- من الواضح أنه ما زالت هناك أمور كثيرة ، تحتاج إلى الدراسة ، بشأن هذه الكارثة .

وأشار إلى (آرى) ، الذى صوب سلاحه إليها مرة أخرى ، وأطلق منه شعاعا أبيض هذه المرة ، تلاشت معه تلك الهالة الوردية ، فسألته (نادية) في اهتمام :

- سلاحك هذا يطلق أنواعا مختلفة من الأشعة .. أهو نفس السلاح ، الذى أطلقت منه تلك الأشعة البنفسجية ، التي سلبتني إرادتي ، وجعلتني أتبعكم إلى هنا ؟

ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يجيب :

- ليس هذا من شأنك .

انعقد حاجباها في غضب ، فابتسم الحاكم ، وقال :

- واحدة بواحدة .. حاولي أن تعتادي هذا النمط من التعامل مع (آرى) .

التفتت إليه ، قائلة في حدة :

- أعتاد ماذا ؟!.. ومن يرغب في البقاء طويلاً مع هذا المغرور ؟

أشار إليها الحاكم ، قائلا :

- رويدك يا بنيتي .. الأمر لا يستحق كل هذا الغضب .

بذلت جهدا حقيقيا لتتمالك جأشها ، وهي تقول في اعتداد :

- فليكن .. إنه لا يستحق بالفعل كل هذا .

قالتها ، وهي ترمق (آرى) بنظرة خاصة ، ثم استطردت في حزم :

- والآن أعتقد أنه قد حان دوري لألقي الأسئلة ، فأنا أريد أن أعرف ، لماذا تمتلكون الكثير من العلم والحضارة ، في حين يبدو أولئك العمالقة أشبه بالحيوانات البرية الشرسة ؟.. ولماذا يبدو لي وكأنهم يسيطرون على كل شيء ؟!.. ثم ما سر تلك الأطلال القرمزية ؟!

انعقد حاجبا (آرى) في ضيق واضح ، في حين



واتسعت عينا (واتسن) فى ذهول ، وهو يحدّق فى تلك المخالب
المخيفة .. ولكن الأميرة أطلقت صوتًا عجيبًا ..

زفر الحاكم فى أسى ، وهزّ رأسه ، قائلاً :
- إنها قصة طويلة يا بنيتى ، وتثير فى نفوسنا آلام لا يمكنك تصورها ، ولكننى سأرويها لك ..
وكما فعلت (نادية) ، التقط الحاكم نفسًا عميقًا ، وراح يروى تاريخ ذلك العالم ..
العالم الغامض ..
والمخيف ..

* * *

من المؤكد أن ما فعلته الأميرة (بلومينا) مع (واتسن) كان أمرًا رهيبًا بكل المقاييس ..
وحتى بالمقاييس الطبيعية لمخلوقات شبيهة بالبشر ..
لقد رفعت يدها أمام وجهها ، وتألقت عيناها ببريق دموى رهيب ، ثم برزت مخالبها ..
نعم ..
لقد برزت من أطراف أصابعها مخالب حادة رفيعة ملتوية ..
تمامًا كمخالب القط ..
أو النمر ..
واتسعت عينا (واتسن) فى ذهول ، وهو يحدق فى تلك المخالب المخيفة ، ولكن الأميرة أطلقت صوتًا

عجيبًا ، ثم غرست مخالبها فى صدره ..

وانتفض جسد (خالد) فى عنف ، مع صرخة الألم الرهيبة ، التى أطلقها (واتسن) ، وهتف فى ارتياع :

- رباه !.. أى قوم هؤلاء ؟!.. أى وحوش ؟!

استدارت إليه الأميرة ، وأطلقت صيحة مخيفة فى وجهه ..

صيحة أشبه بصوت هرة غاضبة متحفزة ..

وفى هدوء عجيب ، وقبل أن تخرج مخالب الأميرة (بلوميا) من صدر (واتسن) ، قال الشيخ الضئيل بالصينية :

- أميرتنا تستمتع كثيرًا بما تفعله بك أيها الغريب ، ومن المؤكد أنها ستواصل هذا لفترة طويلة ، ما لم نتعاون معًا .

هتف (واتسن) فى ألم :

- كيف ؟!.. إننى لم أعترض على التعاون ، ولكننى أجهل ما تريدونه ..

التفت الشيخ إلى الأميرة ، ونقل إليها ما قاله (واتسن) ، فانعقد حاجباها ، وانقلبت شفتاها ، وكأنما لم يرق لها استسلامه بهذه السرعة ، ثم انتزعت مخالبها من صدره بحركة عنيفة ، جعلته يطلق صرخة

ثم أخرى أكثر عنفًا ، ورفعت يدها إلى شفتيها ، وراحت تلعق الدماء التى علقت بمخالبها فى تلذذ واضح ، جعل (خالد) يكرّر فى عصبية :

- رباه !.. أى قوم هؤلاء .

أما القائد (هارلاك) ذو الأنياب الحادة ، فقد رفع يده فى غطرسة ، وتحدث إلى الشيخ بصوته الشبيه بزمجرة الحيوانات الوحشية ، واستمع إليه الشيخ فى اهتمام ، ثم أومأ برأسه ، والتفت إلى (واتسن) ، يسأله :

- كم عددكم ؟!

لهث (واتسن) من فرط الألم ، وهو يجيب :

- ستة .. نحن ستة أفراد .. خمسة رجال وفتاة واحدة .. أعنى أننا كنا كذلك ، قبل أن تقتلوا (أوتو) المسكين ، بتلك الوسيلة البشعة .

انعقد حاجبا الشيخ ، وترجم هذا القول لـ (هارلاك) ، الذى بدا الغضب على وجهه ، وزمجر فى وحشية ، وراح يتكلم فى عصبية واضحة ، فالتفت الشيخ إلى (واتسن) ، يسأله :

- أين الباقون ؟!.. أين الرجلان الباقيان والفتاة ؟

خفق قلب (خالد) فى عنف ، وهو يتمتم :

- لا تخبرهم يا (واتسن) .. لا تخبرهم بالله عليك .. (نور) و (أكرم) هما أملنا الوحيد في الخروج من هذا الجحيم .. لا تخبرهم عنهما .. أرجوك .

وعلى الرغم من أن (واتسن) لم يسمع تمتمة (خالد) ، إلا أنه لهث لحظة ، ثم أجاب في ألم :

- ماتوا ..

كاد (خالد) يطلق تنهيدة ارتياح قوية ، لولا أن خشي أن يفضح هذا التصرف خدعة (واتسن) ، الذي تابع بصوت خافت :

- الثلاثة لقوا مصرعهم ، عندما سقطت مركبتنا على كوكبكم .

نقل الشيخ هذا القول للقائد (هارلاك) ، فانعقد حاجبا هذا الأخير في شدة ، وأطل غضب هادر من عينيه ، فتألقت عينا الأميرة ، واتجهت مرة أخرى إلى (واتسن) ، وبرزت مخالبها ، وهي تقول شيئاً ما ، ترجمه الشيخ إلى الصينية ، قائلاً في شيء من الشماتة :

- الأميرة تقول : إن كذبتك سخيفة وغير متقنة ؛ لأن فرسانها فحصوا حطام مركبتكم العجيبة ، ولم يعثروا داخلها على سوى أشياء غريبة ، وكرة معدنية صغيرة ، ولكن لا جثث أو ضحايا .

وبوحشية عنيفة ، غرزت الأميرة مخالبها مرة أخرى في صدر (واتسن) ، فأطلق المسكين صرخة رهيبة ، وراح يلهث وينتحب ، وهي تتحدث بصوت أشبه بمواء القطط ، والشيخ يواصل الترجمة ، قائلاً :

- ثم إن فارسين من فرساننا تعرضا لهجوم من رجلين وفتاة نجحوا في الاستيلاء على جواديهما ، وهذا يعني أن رفاقكما ما زالوا على قيد الحياة ، و ...

قبل أن يتم عبارته ، ظهر عملاق آخر في مدخل الحجرة ، وضرب صدره بقبضته في قوة ، قبل أن يقول عبارة ما ، ثم اتجه نحو (هارلاك) مباشرة ، وأخرج رقعة جلدية من طيات ثيابه ، وفردها أمام القائد الوحشي ..

واتسعت عينا (خالد) في ذعر ، في حين أطلق (واتسن) شهقة مكتومة ..

فوق الرقعة الجلدية هذه ، بدا رسم واضح لوجهين مألوفين ..

وجها (نور) و (أكرم) ..

* * *

٩ - وحوش آدمية ..

دقيقة كاملة تقريبا ، حدق الجميع في وجه (سلوى) ، التي لاذت بالصمت التام ، وهي غارقة في حالة التنويم المغناطيسي ، بعد أن خرجت تلك العبارة من بين شفتيها ، حاملة صوت (محمود) ، ثم غمغمت (مشيرة) بصوت مرتجف :

- أ .. أهذا صوت (محمود) ؟

أتاها صوته عبر شفتي (سلوى) ، وهو يقول :

- نعم .. هو أنا يا (مشيرة) .. كيف حالك .. كيف حالكم جميعا .. صدقوني يا رفاق ، أنا أفتقدكم جميعا هنا .

وعلى الرغم من أنهم فعلوا كل هذا للاتصال به خصيصا ، إلا أن سماعهم لصوته أربكهم جميعا ، وفجر في أعماقهم دهشة بلا حدود ..

حتى (رمزى) نفسه أخذته المفاجأة ، وتمتم :

- رباه ! .. إنه هو بالفعل .

أجابه (محمود) :

- لا تجعل هذا يدهشك أو يربكك يا صديقي ، فقد

كانت فكرة التنويم المغناطيسي هذه عبقرية .. لقد منحتني فرصة نادرة للاتصال بكم ، ثم إن هذه الحالة تضع عقل (سلوى) في منحنى متوسط ، ما بين النوم واليقظة ، وهذا ما سمح لي بالتحدث من خلالها .

غمغمت (نشوى) في اضطراب :

- هذا يشبه جلسات تحضير الأرواح .

أجابها صوت (محمود) :

- كلا يا (نشوى) .. هذا اتصال علمي طبيعي ، وليس نوعا من الشعوذة والخزعبلات .. إنني لم أمت بعد ، ولكنني انتقلت فحسب إلى عالم آخر ، يبدو أنه جزء من نهر الزمن ، فأنا أستطيع التنقل في يسر ، بين الزمان والمكان ، ومعي (ص - ١٨)(*) هنا ، ولكنه عاجز عن العودة ، ولا يمكنه أن يفعل شيئا لمعاونتي .

هتفت (مشيرة) :

- سنبذل قصارى جهدنا لاستعادتك يا (محمود) .. لن نتخلى عنك أبدا .

حمل صوته الكثير من الحزن والمرارة والألم هذه المرة ، وهو يقول :

(*) راجع قصة (المقاتل الأخير) .. المغامرة رقم (٤٧) .

- ليس هذا ممكنا للأسف يا (مشيرة) .. بالنسبة لما تملكونه من تكنولوجيا على الأقل .

ثم استطرد في سرعة ، وبلهجة أكثر جدية ، واهتمامًا :

- ولكن دعونا من هذا الآن .. أنتم تريدون الاطمئنان على (نور) و(أكرم) .. أليس كذلك !

أجابته (نشوى) في لهفة :

- بلى .. كيف هما ؟! .. أما زالا على قيد الحياة ؟!

أجابها على الفور :

- نعم .. مازالا على قيد الحياة ، ولكنهما في عالم مخيف رهيب ، يحكمه قوم طغاة قساة ، غلاظ القلوب ، لا يعرفون الرحمة أو الشفقة .

شحب وجهها وهي تهتف :

- يا إلهي ! .. يا إلهي !

أما (مشيرة) ، فعلى الرغم من دقات قلبها القوية ، سألته في اهتمام :

- وهل يمكنهم العودة إلينا ؟!

صمت (محمود) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

- سأبذل قصارى جهدي لمعاونتهما .

عادت تسأله في إلحاح :

- المهم هل يمكنهما العودة ؟!

صمت لحظة أخرى ، ثم أجاب عبر شفتي (سلوى) :

- ذلك العالم يختلف كثيرًا عن عالمنا ، وطبيعته الثائرة تجعله أشبه ببحر عاصف متلاطم الأمواج ، والمخاطر فيه كثيرة ، ولكنهما قويان بما يكفي للتصدي لها ، و ...

قاطعته (مشيرة) في عصبية شديدة هذه المرة :

- (محمود) .. لا داعي للمراوغة .. أجب عن سؤالي بصراحة ووضوح .. هل توجد وسيلة لعودة (نور) و(أكرم) إلى عالمنا ؟!

ران عليهم الصمت طويلاً هذه المرة ، قبل أن يجيب (محمود) في اقتضاب :

- كلا .

شهقت (مشيرة) في ارتياع ، وارتجفت (نشوى) في عنف ، في حين اتسعت عينا (رمزي) بشدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فقد كان الجواب محبطًا ومحطمًا للآمال ..

وإلى أقصى حد ممكن ..

* * *

لم يستطع (أكرم) منع ذلك الشعور بالاشمئزاز ، الذي انطلق في أعماقه ، وهو يتطلع إلى ذلك السائل الدموي ، الذي يجري تحت الصحراء الصخرية ، وأشار إليه بيده ، قائلاً في توتر :

- من الواضح أن هذا الكوكب دموي بحق يا (نور) .. انظر ما الذي يجري في عروقه ؟!

تطلع (نور) إلى السائل بدوره ، وهو يقول في حزم :

- أيا كان هذا الشيء ، فهو ما ارتوى منه الجوادان يا (أكرم) .

هتف (أكرم) ، مستنكرًا :

- هل تريدنا أن نشرب هذا السائل البشع ؟

مدّ (نور) يده في السائل ، مجيبًا في حزم :

- بالتأكيد .

وحمل بعضًا منه في راحتيه ، مستطردًا :

- وتذكر أنه ليس لدينا خيار آخر .. إما أن نجد ما نشربه ، أيا كانت بشاعته ، أو نلقى حتفنا عطشًا ، في هذا العالم الرهيب .

سرت في جسد (أكرم) قشعريرة ، عندما رفع (نور) راحتيه إلى شفتيه ، وتذوق ذلك السائل ..

وفي عصبية ، قال (أكرم) :

- طعمه بشع كهيئته .. أليس كذلك ؟!

هز (نور) رأسه نفيًا ، وشرب كل ما حوته راحتاه من السائل ، قبل أن يجيب في حماس :

- على العكس .. إن له طعمًا جيدًا ، يشبه الماء مع عصير الفواكه ، ورائحته طيبة للغاية .

ثم رفع كفيه أمامه ، مضيفًا :

- وهو لا يصبغ الأيدي كما ترى .

هتف (أكرم) بدهشة حقيقية :

- حقًا ؟!

وعاد يعقد حاجبيه ، مستطردًا في شك :

- وماذا لو أنه مسموم ؟!

ملأ (نور) راحتيه بالسائل مرة أخرى ، وهو يقول :

- هل يبدو لك أثر السمّ على الجوادين ؟!

تردد (أكرم) بضع لحظات ، ثم لم يلبث نداء العطش في أعماقه أن اتخذ قرارًا حاسمًا ، فجلس إلى جوار (نور) قائلاً في لهفة :

- افسح لي المجال يا (نور) .. إنني أكاد أموت عطشًا يا رجل .

وفي نهم شديد ، راحا يرتويان من السائل الأحمر ،

قبل أن يهتف (أكرم) :

- رائع .. إنه سائل رائع .. لو عثرنا الآن على شيء نأكله ، نكون قد ضمنا البقاء في هذا المكان اللعين .

تطلع إليه (نور) لحظة في صمت ، ثم تنهد ، قائلاً :

- لو أن نظرية (والسن) سليمة ، فلن يطول بنا البقاء هنا .

التقى حاجبا (أكرم) ، وكأنما استعاد انتباهه إلى الأمر بغتة ، وغمغم :

- آه .. نسيت أمر القمر والفجوة السوداء اللعينة .

التفت إليه (نور) ، قائلاً في شيء من الحدة :

- ألا تمل من ترديد تلك اللعنات ، بمناسبة ودون مناسبة ؟!

أجابه (أكرم) في عصبية :

- سأنتهي عندما أريدها .

صاح به (نور) :

- كفّ عن عناد الأطفال هذا .

هبّ (أكرم) من مكانه ، هاتفًا في غضب :

- عناد ماذا ؟! .. إياك أن تكرر هذا القول يا (نور) ، وإلا ..

هبّ (نور) بدوره ، صائحًا :

- وإلا ماذا ؟!

أطلق أحد الجوادين صهيلاً في هذه اللحظة ، فانتبها إلى سخافة موقفهما ، وهز (أكرم) رأسه في قوة ، قائلاً :

- معذرة يا (نور) .. يبدو أن هذه الحرارة الشديدة جعلت أعصابي ملتهبة للغاية .

ربت (نور) على كتفه ، قائلاً :

- إنه خطئي أنا يا صديقي .

ثم التقط من حزامه منظارًا مقربًا حديثًا ، وهو يستطرد :

- أعتقد أن أفضل ما نفعله ، حتى نطفئ أعصابنا المشتعلة هذه ، هو أن نواصل بحثنا عن (نادية) ، وعن أولئك العمالقة ، الذين اختطفوا الباقين .

قالها ، وقفز يعتلي الصخرة الكبيرة ، ثم وضع المنظار المقرب على عينيه ، وضغط زر الضبط الآلي في قمته(*) ، وهو يدير رأسه فيما حوله ، فسأله (أكرم) :

(*) المناظير المقربة الحديثة تعتمد في ضبط الرؤية على نظام ضبط البؤرة الآلي ، أو (Auto focus)

- مازلت تصر على أن خاطفي (نادية) ليسوا أولئك العمالقة الأوغاد ، الذين اختطفوا الآخرين ؟!

أومأ (نور) برأسه إيجابًا ، وهو يقول :

- هذا يبدو لي واضحًا للغاية .. حتى الأسلوب يختلف ..

هزّ (أكرم) رأسه في حيرة ، قبل أن يسأله :

- أين ذهبوا إذن بالله عليك ؟! .. من المستحيل أن يكونوا قد اختفوا في قلب تلك الصحراء الجرداء ؟

أجابه (نور) ، وهو يتطلع إلى الجبال بمنظاره المقرّب :

- بالتأكيد ، ولكن ربما كانت لهم ممرات سرية ، تمتد تحت الصحراء ، مثل ذلك النهر الأحمر الـ ...

بتر عبارته بغتة ، ليهتف في دهشة بالغة :

- يا إلهي !

لم يكد (أكرم) يسمع الهتاف ، حتى وثب يعتلي الصخرة بدوره ، وهو يقول في توتر :

- ماذا هناك ؟

رفع (نور) المنظار عن عينيه ، وناوله إياه ، قائلاً :

- انظر هناك يا (أكرم) .. عند سفح ذلك الجبل الداكن .. عندما كانت الشمس في وجهنا لم ننتبه إلى هذا ، أما الآن ، فالمكان يبدو غاية في الوضوح ، بعد أن أصبحت الشمس في مواجهته تمامًا ..

وضع (أكرم) المنظار على عينيه ، وتطلع إلى حيث يشير (نور) ..

ثم أطلق شهقة دهشة بدوره ..

فهناك ، عند سفح الجبل ، كان يوجد أغرب شيء يمكن أن يتخيلوا وجوده في هذا العالم العجيب ..

أغرب شيء بالفعل ..

* * *

كان من الواضح أن ما يرويه الحاكم (كانو) يؤلمه بشدة ، فقد انحفر مزيج من الحزن والأسى والمرارة في ملامحه ، وانتقل إلى صوته ، وهو يقول :

- منذ ما يقرب من مائة عام من أعوامنا فحسب ، كانت أمتنا قد بلغت شأنًا كبيرًا ، وقطعت شوطًا لا بأس به في مجال التطور والتكنولوجيا ، وأصبحت لنا حضارة مدهشة ، جعلتنا نتفوق على كل الأمم الأخرى في كوكبنا ، حتى إننا أصبحنا أقوى قوة ضاربة ، يخشاها الجميع ، وتنحني أمامها جباه الطغاة .. كانت

لدينا أعظم الأسلحة وأقواها ، وأفضل النظم والقوانين ، وأجمل المدن والطرق ووسائل النقل ، حتى امتلأت نفوسنا بالزهو ، ورحنا نتيه فخرا بحضارتنا ، ونفرض إرادتنا على عالمنا كله ، ونسن قوانينه ، ونعمل على أن يحترمها الآخرون ، ثم نتجاهلها نحن بلا مبالاة ، إذا ما تعارضت مع مصالحنا ، حتى ولو فعلنا هذا على نحو واضح صريح ، دون تورية أو مواربة ..

وأشار بيده إلى ما حوله ، متابعًا :

ـ وأصبحت لنا مشروعاتنا الفضائية .. مركبات عملاقة تجوب الفضاء ، ومحطات انتظار هائلة ، وأقمار صناعية دفاعية ، وأسلحة فضائية قتالية ، بل وتمادينا إلى حد وضع برنامج علمي شديد التطور ، لتوليد الهواء في الفضاء ، بحيث يصبح السفر عبره أقل تكلفة وخطورة .

ثم هز رأسه ، وتنهد في أسى وأسف ، قبل أن يضيف :

ـ وفي غمرة كل هذا ، نسينا أمر (المولاك) .

رددت (نادية) في تساؤل :

ـ (المولاك) ؟!

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ نعم .. (المولاك) .. أولئك العمالقة ، الذين يسيطرون على كوكبنا الآن ، ويخضعونه لطغيانهم وجبروتهم وقسوتهم .. في الماضي ، وعندما بلغنا نحن ذلك الشأن ، لم يكن (المولاك) سوى شعب بدائي نصف متوحش ، سمحنا له بالبقاء والاستقرار في منطقة الجبال ، ونحن نتصور أن فارق التقدّم بيننا وبينه ، لن يجعله يمثّل لنا أدنى تهديد ، حتى إن أحد كبار أدبائنا أشار يومًا إلى أن (المولاك) مجرد حيوانات متطورة ، لا ضرر في أن يخرج شبابنا يومًا لاصطيادها ، وتخليص العالم من شرورها ، كنوع من الرياضة والقنص .

وتنهّد مرة أخرى ، ثم تابع في أسى :

ـ وفي الوقت الذي انشغلنا فيه بقوتنا وغرورنا ، راح شعب (المولاك) ، الذي تحكمه سلالة من أنصاف الوحوش ، يدرب أجياله الجديدة على القتال ، مستخدمًا نفس الأسلحة والأساليب البدائية الهمجية ، التي يستخدمها منذ عشرات القرون ، وساعدتهم بنيتهم القوية وأجسادهم العملاقة ، على أن يصبحوا مقاتلين أشداء ، لا تعرف الرحمة أو الشفقة طريقها إلى قلوبهم ، وانتشر جواسيسهم في الصحراء الصخرية

المحيطة بنا ، يراقبون تحركاتنا ، ويبحثون عن ثغرة لاقتحام عالمنا والسيطرة عليه .

وانكسر صوته في مرارة شديدة ، قبل أن يضيف :

- ونحن منحناهم الفرصة للأسف .

مط (آري) شفتيه ، وأشاح بوجهه في ألم ، عندما بلغ الحاكم هذا الجزء من روايته ، وكأنما يحسن في أعماقه المرارة نفسها ، و(كاتو) يستطرد :

- ومنذ ثلاثة وثمانين عامًا ، وفي إطار مشروعنا لتطوير الفضاء الخارجي ، أطلق علماؤنا قنبلة خاصة ، لاختبار إمكانية توليد الهواء في قلب الفضاء ، واتجهت القنبلة نحو الموقع المحدود لها بالضبط ، ثم انفجرت .

والتقط نفسًا عميقًا ، وهو يقول :

- وكانت هذه بداية الدمار .

همهم (آري) بكلمات غير مفهومة ، أجابها الحاكم بإيماءة من رأسه ، قبل أن يتابع :

- انفجار القنبلة أدى إلى ردود أفعال فيزيائية غير متوقعة على الإطلاق ، وإلى سلسلة من التفاعلات المخيفة ، تغير معها الفضاء المحيط بنا تمامًا ، وتكونت فيه سحب عملاقة ، انطلقت منها صواعق هائلة ، أحاطت بنا من كل جانب ، وبث في قلوبنا رعبًا

لا مثيل له ، وعلماؤنا يبذلون قصارى جهدهم لدراسة الموقف ، والبحث عن وسيلة للسيطرة عليه ، قبل أن تسقط بعض هذه الصواعق على أمتنا ، وتتسبب في كارثة رهيبة .

غمغم (آري) في مرارة شديدة :

- وهذا ما حدث بالفعل .

شهقت (نادية) ، متمتمة :

- يا إلهي ! ..

وتابع الحاكم في ألم واضح :

- هوت الصاعقة على مدينتنا قبل دقائق من مطلع شمسنا ، وكان لها تأثير عشرات القنابل الرهيبة ، فانهارت المدينة ، وتحطم مخزون أسلحتنا الرئيسي ، وسقطت طرقنا ومواصلاتنا ، وحتى شبكة الطاقة الرئيسية .. باختصار .. كان الدمار رهيبًا شاملاً ، وكان يحتاج إلى جهد رهيب لإعادة البناء ، واستعادة كل ما سقط .

سألته (نادية) في اهتمام :

- ولماذا لم تبذلوا هذا الجهد ؟

أشار بيده ، قائلاً :

- لأن (المولاك) لم يمنحونا الفرصة لنفعل .. كانوا

وكأنهم ينتظرون هذه اللحظة منذ عشرات السنين . فلم تكد الكارثة تقع ، حتى انقضوا علينا فى وحشية رهيبة ، وراحوا يقتلون ويذبحون ويحرقون ويدمرون بلا رحمة أو شفقة . وكأنهم يتلذذون بكل قطرة دم تراق ، وكل روح بريئة تزهق .

والتقط نفسًا عميقًا ثانيًا ، قبل أن يتابع فى أسى :

- والعجيب أنه حتى فى تلك المرحلة ، كانت لدينا القدرة على التصدى لهم ، بما تبقى لدينا من أسلحة ، ولكن مسئولينا تصوروا أن (المولاك) شعب بدائى غبى ، وأننا نستطيع الانتصار عليهم فى أية لحظة ، فراحوا يوجهون إليهم الإنذار تلو الآخر ، وهم يتجاهلونه ، ويواصلون غيهم وجبروتهم ، حتى فات الأوان ، ولم يعد القتال أو حتى المقاومة مجدية ، عندما بدأنا فى استخدام الأسلحة فعليًا .

همهم (آرى) مرة أخرى بكلمات مبهمة ، تفيض حنقًا ومرارة ، والحاكم يقول :

- وانتصر (المولاك) ..

كادت (نادية) تطلق شهقة أخرى ، وتصرخ فى وجهيهما بأن هذه هى أكبر حماقة وقع فيها شعب ما ، فى التاريخ كله ، إلا أنها لم تلبث أن تذكرت أنها

لا تنتمى إلى هذا العالم ، ولا تعلم شيئًا عن تاريخه ، فآثرت الصمت ، والحاكم يتابع :

- والعجيب أنه حتى بعد انتصارهم ، لم يحاول (المولاك) الاستفادة من أسلحتنا المتطورة ، ربما لأنهم يجهلون كيفية استخدامها ، لذا فقد عمدوا إلى تدميرها ، فى احتفال همجى ضخم ، وأعلنوا أنفسهم سادة هذا الكوكب ، وتهددوا كل من يقاومهم بالويل والثبور ، وعظائم الأمور ، ثم بدءوا عهدهم الجديد فى عالمنا .. عهد القسوة والطغيان والوحشية ، وأصبح شعبنا ، الذى كان يومًا أرقى شعوب الكوكب ، مجرد خدم وعبيد ورعايا لعمالقة (المولاك) ، الذين أقاموا معسكرات ضخمة ، يعمل فيها أهلنا ، فيزرعون ويقلعون ، ويصنعون الغذاء والكساء للعمالقة ، دون أن يظفروا منه إلا بما يقيم أودهم ، أو يستر عوراتهم فحسب ، وحولهم حراسة قوية شديدة ، لا يتردد رجالها فى سحق كل من يقاوم ، أو يبدى أدنى اعتراض على تلك المعيشة المهينة ، التى ترفضها حتى أدنى الحيوانات .

قالت (نادية) فى حذر :

- ولكنكم تعيشون فى مجتمع جد نظيف منظم .

أجابها (آرى) فى صرامة وحزم :

- نحن لا نخضع لعمالقة (المولاك) .

أشار إليه الحاكم بالصمت ، وهو يقول :

- هذا صحيح يا بنيتى .. نحن الشوكة التى بقيت فى ظهر (المولاك) ، والأمل الأخير فى استعادة عزة وكرامة شعبنا .. نحن رجال المقاومة ، الذين يهاجمون (المولاك) ومستعمراتهم ، ويكبدونهم خسائر فادحة .. نحن الذين تسعى للقضاء على الطغاة ، وإعادة السلام إلى كوكبنا .. ولهذا أطلقنا على مدينتنا الخفية اسم (أرض السلام) (بشتوريا) .

ارتفع حاجباها فى تأثر ، وهى تقول :

- يبدو أن الأمور لا تختلف كثيراً ، من كوكب إلى كوكب ، ومن عالم إلى آخر ، فحيثما وجد الطغيان تولد المقاومة السرية ، ويولد معها الأمل فى الحرية والسلام .

استدار إليها (آرى) فى حركة حادة ، وأشار إليها بسبابته فى غضب ، هاتفاً :

- كان هذا فيما مضى ، ولكنكم أنتم حطمتم الأمل .. أنتم وضعتم نهاية لكل أحلامنا وطموحاتنا .

تراجعت (نادية) كالمصعوقة ، وهى تحدق فى وجهه بدهشة بالغة ، وعقلها يصرخ بسؤال واحد ، لم ينطقه لسانها من فرط الدهشة وأثر الصدمة ..

كيف يمكن أن نكون السبب فى تحطيم أحلامكم وطموحاتكم ؟!

كيف ؟! ..

كيف ؟! ..

ودون أن يسمع سؤالها ، منحها (آرى) الجواب فى غضب وسخط وثورة ..

وكان جوابه عجيباً !!..

عجيباً بحق !!..

* * *

« إنها صورة (نور) و(أكرم) !! » .

هتف (واتسن) بالعبارة فى توتر شديد ، وهو يحدق فى رقعة الجلد ، التى تحمل ذلك الرسم المتقن ، فقال (خالد) فى انهيار :

- هذا يعنى أن هؤلاء الأوغاد توصلوا إليهما ، أو .. أو ...

لم يقو على نطق العبارة ، ولكن (واتسن) أكمل قائلاً بصوت مرتجف :

- أو قتلوهما .

شعر (خالد) بغصة فى حلقه ، وتمنى لو ينقض على الأميرة (بلوميا) ويقبض على عنقها الطويل

بفيه ، ويعتصره حتى الموت ، وخاصة عندما نقلت بصرها بينه وبين (واتسن) ، وتحدثت مع الشيخ بلهجة ساخرة ، فترجم حديثها إلى (واتسن) ، الذى احتقن وجهه بشدة ، فقال له (خالد) فى عصبية :

- ماذا قال ؟.. ماذا قال بالله عليك ؟!

عض (واتسن) شفتيه قائلاً :

- الأميرة قالت : إن فرسانها توصلوا إلى مكان رفيقينا ، وقام ضابط استطلاعها برسم صورتيهما ، وهما محاصران الآن ، دون أن يدركا هذا ، وما هى إلا ساعة واحدة ، وينضمان إلينا هنا ..

هتف (خالد) من أعمق أعماق قلبه :

- اخذلهم يا إلهى ! اخذلهم وأنقذ (نور) و(أكرم) من قبضتهم القذرة .. انصر الأخيار واهزم الأشرار يارب العالمين .

انعقد حاجبا الأميرة فى غضب ، وهى تتطلع إلى (خالد) ، على الرغم من أنها لم تفهم حرفاً واحداً مما قاله ، ثم اتقدت عيناها الحمراوان كقطعتين من الجمر ، قبل أن تتجه إليه ، وتلتقط يده المكسورة ، وتتطلع إليها بنظرة عجيبة ، ثم ترفع عينيها إليه وتموء كالقطط المتحفز ، فامتقع وجه (خالد) ، وهو يقول :

- إياك .. إياك أن تنشبى مخالبك القذرة فيها .

ولكن الأميرة لم تبرز حتى مخالبها ..

كل ما فعلته هو أن أحاطت كفه بأصابعها ، وهى تتطلع إلى عينيه مباشرة ، و ..

وضغطتها بقوة ..

ضغطتها بقوة هائلة ، دارت لها عينا المسكين فى محجريهما ، واختنقت لها صرخته فى أعماقه لحظات ، وهو يحدق فى وجهها ذاهلاً ، ثم لم تلبث تلك الصرخة أن انطلقت عالية مدوية ، تجلجل فى الحجرة ، حاملة قدراً هائلاً من الألم والعذاب ، أحاطت معهما سحابة ضبابية بعقله ، وعجزت قدماه عن حمله ، فهوى فاقد الوعى ، من فرط الألم والذعر ..

وفى ثورة ، هتف (واتسن) :

- ماذا فعلت به أيتها الحقيرة ؟! .. ماذا فعلت به ؟!

التفتت إليه (بلوميا) بنظرة ساخرة ، وهى تفلت كف (خالد) ، التى فقدت شكلها الطبيعى ، وأصبحت أشبه بكومة من اللحم المفرى ، اختلط لحمها بدمها وعظامها وجلدها ..

وأطلقت الأميرة بخة القط فى وجهه ، وهى تبرز مخالبها ، فتراجع هاتفاً :

- ماذا تريدون منا ؟! .. ماذا تفعلون بنا ؟!

اتجهت الأميرة نحوه فى شراسة مخيفة ، ومخالبها مشهورة فى وجهه ، تستعد للغوص مرة أخرى فى صدره ، ولكن (هارلاك) أطلق زمجرة وحشية ، وهو يشير إليها بيده ، فالتفتت إليه فى غضب شرس ، ولكنه تبادل معها حديثا قصيرا ، تراجعت بعده مخالبها ، وأشارت إلى حراسها فى شىء من السخرية والتلذذ ، فحمل أحد الحراس (خالد) ، ودفع الثانى (واتسن) أمامه ، وغادروا الحجرة إلى تلك الممرات الصخرية المتشابكة ..

وفى هذه المرة لم يشعر قلب (واتسن) بالارتياح أبدا .

صحيح أنه أسير منذ البداية ، فى ذلك الجحيم الرهيب ، إلا أنه ، وفى هذه المرة بالذات ، كان يشعر وكأنه يسير إلى حتفه ..

ولم يعد بهما الحراس إلى زنزانتهما الرطبة ..

لقد نقلوهما إلى مكان آخر ، به فجوة واسعة ، عمقها ثلاثة أمتار ، ودفع أحد الحراس (واتسن) فى غلظة وقسوة ، وهو يصرخ بكلمة ما ، أدرك الأمريكى أنها أمر بالقفز فى الفجوة ، ففعل ، ووثب داخلها وقلبه

يخفق فى قوة ، وانطلقت من حلقه صرخة استنكار وذعر ، عندما ألقى حارس آخر جسد (خالد) داخل الفجوة فى غلظة ، فارتطم هذا الأخير بالأرض فى عنف ، وتأوه فى شدة ، فهرع إليه (واتسن) ، هاتفا :

- أيها الأوغاد .. إنه ليس قطعة من الحجر لتفعلوا به هذا .. إنه بشر من لحم ودم .

لم يفهم الحراس العمالقة قوله ، ولكنهم أطلقوا ضحكات ساخرة شرسة ، وهم يشيرون إليه وإلى (خالد) فى تهكم واضح ، فى حين تأوه هذا الأخير فى ألم ، وتمتم فى تهالك واضح :

- ألم رهيب يا (واتسن) .. ألم رهيب يا رجل .. تلك الحقيرة سحقت كفى سحقا .

تطلع (واتسن) فى ارتياع إلى كف (خالد) بشكلها البشع ، وغمغم :

- إنهم وحوش يا (خالد) .. وحوش .

حاول (خالد) أن يعتدل ، فى ألم شديد ، وأدار عينيه فيما حوله فى ارتياع ، قائلا :

- أين نحن ؟!

استدار (واتسن) يلقى على المكان نظرة بدوره ، ثم سرت فى جسده ارتجافة ، على الرغم من إرادته ..

المكان عبارة عن فجوة مستديرة ، نصف قطرها متران على الأقل ، وارتفاعها يقارب الأمتار الثلاثة ، وكانت هناك فتحات صغيرة مستديرة في جدارها ، بالقرب من قمتها ، وأخرى بنفس الاتساع تقريبا في قاعدتها ..

وفي رهبة تمتزج بالألم ، غمغم (خالد) :

ـ هذا المكان يبعث في نفسي خوفا مبهما .

تمتم (واطسن) :

ـ وأنا كذلك .

ثم أشار إلى الفتحات الصغيرة ، مستطردا :

ـ لماذا هذه الفتحات في رأيك ؟

نقل (خالد) بصره بين الفتحات العلوية والسفلية ، ثم تمتم في خوف شديد :

ـ أخشى ألا تكون مخارج أنابيب لصب الحمم الملتهبة في هذه الفجوة .

شهق (واطسن) في ارتياع ، وهو يقول :

ـ يا إلهي ! .. الحمم ! .. لا .. لن أحتمل هذه الميتة البشعة .

لم يكد يتم عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت سائل يجري ، فهتف (خالد) ، وهو ينهض مذعورا :



لم يكد يتمّ عبارته ، حتى تناهى إلى مسامعهما صوت سائل يجري ..

- الحمم ؟!

اتسعت عينا (واتسن) فى رعب هائل ، وهو يلتصق بالجدار ، وراح جسده يرتجف ..

ويرتجف ..

ويرتجف ..

ثم فجأة ، تدفق السائل عبر الفتحات العلوية والسفلية ..

ولكنه لم يكن الحمم المتوقعة ..

لقد كان ذلك الماء الأحمر ، الشبيه بالدماء البشرية ، والذى أخذ يتدفق فى غزارة ، من أعلى وأسفل ، ويغمر الفجوة ، ومنسوبه يرتفع فيها بسرعة ، فهتف (خالد) :

- رباه ! .. إنهم يقتلوننا غرقًا يا (واتسن) .. سنلقى حتفنا فى هذه الفجوة الحقيرة كالفئران .

ولم يجب (واتسن) ..

لقد أدرك أن (خالد) على حق فى هذا الأمر ..

لقد قرر أولئك العمالقة الطغاة قتلهما غرقًا ، داخل تلك الفجوة ، التى راح السائل يرتفع فيها بسرعة ..

ويرتفع ..

ويرتفع ..

* * *

١٠ - شبكة الموت ..

« قدومكم إلى هنا جلب إلينا مصيبة جديدة .. » .

هتف (آرى) بالعبارة فى غضب شديد ، وهو يلوّح بسبابته فى وجه (نادية) ، قبل أن يستطرد فى حدة :

- أكثر من عشرين عامًا ونحن نعد العدة ، ونتأهب لشن حرب شعواء على (المولاك) ، الذين بلغ طغيانهم مداه ، بعد أن مات أميرهم السابق ، وترك العرش لابنه (سولان) وابنته (بلوميا) ، بكل شراستهما ووحشيتهما ، وساديتهما التى لا تنتهى ، خاصة وقد أسندوا قيادة فرسانهم إلى (هارلاك) ، شقيقهما الأصغر ، الذى يفوقهما ضراوة ووحشية .. وبعد أن استعددنا لساعة الصفر ، وبدأنا العد التنازلى لها بالفعل ، وقعت تلك الكارثة الجديدة .

سألته فى توتر :

- أتقصد تلك الفجوة السوداء ؟!.. ولكنها كارثة أصابتنا ، ولم نجلبها إليكم .. نحن ضحايا لها مثلكم تمامًا .

قال فى عصبية :

ـ لست أقصد هذا .

قالت فى حدة :

ـ ماذا تقصد إذن أيها العبقرى ؟!

صاح فى وجهها :

ـ استمعى إلىّ أيتها المتحذلقة ، وستعرفين ما أقصده .

نقل الحاكم (كاتو) بصره بينهما ، قبل أن يشير بيده ، قائلا :

ـ مهلا يا (آرى) .. رويدك يا بنيتى .. لا يوجد ما يستوجب شجاركما .. إنه يروى شيئا وأنت تستمعين .

زفرت (نادية) فى حدة ، وقالت :

ـ فليكن .. هات ما لديك أيها الراوى .

عقد (آرى) حاجبيه ، وهو يقول :

ـ عندما حدثت تلك الكارثة الجديدة ، كنا فى منتصف النهار ، وفوجئنا بانفجار صامت هائل فى الفضاء ، فتصورنا أنه رد فعل جديد متأخر ، لتلك القنبلة التى أفسدت فضاءنا ، وقررنا تأجيل ساعة الصفر ، حتى تتضح الأمور ، خاصة وأن (المولاك) أصابهم الذعر أيضا ، وراحوا يراقبون السماء ليلا ونهارا ، وقد أقلقهم أن تظهر فجوة بيضاء ، تلقى ضوءا مبهرا على الجانب المظلم للكوكب ، بحيث لم يعد هناك ليل تقريبا .

وتنهّد فى عصبية ، قبل أن يستطرد :

ـ كان هذا يفسد خططنا بالتأكيد ، فقد كانت تعتمد ، فى جزء كبير منها ، على التسلّل تحت حجب الظلام ، الذى لم يعد له وجود فى عالمنا قط ، فالشمس تشرق على نصف الكوكب ، والفجوة البيضاء تضىء نصفه الآخر طوال الوقت ، خاصة وأنها تواصل الاتساع ، طوال العامين الماضيين ، وتقذف كوكبنا ، بين الحين والآخر بقطع ضخمة ، من الصخور والنيازك .

وعاد حاجباه ينعقدان فى غضب ، وهو ينظر إليها ، متابعا :

ـ ومع مرور الوقت ، اعتاد (المولاك) وجود هذه الفجوة البيضاء ، ولم يعد أمرها يثير اهتمامهم ، كعادة الهمج إزاء أية ظاهرة ممتدة ، مما منحنا فرصة وضع خطط جديدة ، لا تعتمد مطلقا على ظلام يفتقر كوكبنا إليه ، وإنما تتناسب مع الظروف الجديدة ، التى لم يتوقف علماؤنا عن دراستها ، والبحث عن تأثيراتها المختلفة ، منذ لحظة حدوثها ، وحددنا ساعة صفر جديدة بالفعل ، وبدأنا العد التنازلى مرة أخرى .

وتضاعف الغضب المطل من عينيه ، وهو يلوح بسبابته ثانية فى وجهها ، هاتفا :

- ثم وصلتم أنتم .
هتفت به :
- لا تقل لى : إننا أفسدنا خططكم .
صاح فى حنق :
- هذا ما فعلتموه بالفعل .
ثم استطرد ، وهو يلوّح بذراعيه محتدًا :
- مركبتكم الفضائية سقطت وسط أطلالنا ، وانفجرت ، وفجّرت معها قلق (المولاك) وذعرهم ثانية ، وجعلتهم يرفعون درجة استعداداتهم إلى الحد الأقصى ، وينشرون جنودهم وجواسيسهم فى المنطقة كلها ، بحيث بات من المستحيل أن ننفذ خطتنا ، أو أن نحقق عامل المفاجأة ، الذى تعتمد عليه .
احتقن وجهها فى غضب ، وهى تهتف :
- وما ذنبنا فى هذا الأمر ؟!
صاح فى حنق :
- بل ما ذنبنا نحن ؟ .. كلما استعددنا للقتال يعاندنا القدر .
قالت فى حدة :
- أرأيت ؟ .. أنت قلتها .. إنه قدركم .
همّ (آرى) بقول شىء ما ، لولا أن رفع الحاكم سبابته ، وقال فى وقار :

- صدقت يا بنيتى .. إنه قدرنا .
ثم التفت إلى (آرى) ، مستطردًا :
- وينبغى أن تؤمن بهذا يا ولدى .
هتف (آرى) فى مرارة :
- إلى متى ؟!
أجابه الشيخ فى حزم :
- إلى الأبد .. الإيمان بالقضاء والقدر لا ينتهى قط .. إنه جزء من حسن إيمان المرء ، يمتزج بدمائه ، ويجرى معها فى عروقه ، وتنبض به كل خلية من خلاياه ، مادام فى صدره نفس يتردد ، وفى جسده عرق ينبض .
خفض (آرى) عينيه ، وهو يغمغم :
- سامحنى يا عماه .. إنها رغبتى فى الثأر والنصر فحسب .
نطقها فى حزن شديد ، أثار دهشة (نادية) ، وشيئًا من شفقتها وعطفها ، حتى إنها كادت تسأله عن سر هذا الحزن الدفين ، لولا أن منعها خجلها وحياؤها من هذا .
ثم إن أحد الرجال برز فى هذه اللحظة ، وانحنى أمام الحاكم ، ثم اندفع نحوه ، وهمس فى أذنه بشىء ما ، تعقد له حاجبا (كاتو) ، قبل أن يومئ برأسه متفهمًا ، ويهمس فى أذن الرجل ببضع كلمات أخرى ..

وكان من الطبيعي أن يتفجر فضول الأنثى في أعماق (نادية) ..

ما الذي حدث بالضبط ؟!..

وما الذي همس به الرجل في أذن الحاكم ؟!..

والعجيب أن الحاكم رفع عينيه إليها ، وكأنما سمع تلك الأسئلة ، التي دارت في أعماق عقلها ، وقال :

ـ إنه أمر يخص رفيقيك .

هتفت منزعجة :

ـ (نور) و (أكرم) ؟!

هز كتفيه ، قائلاً :

ـ أيًا كان اسماهما .. إنهما اللذان كانا معك عند الصخرة .

اتسعت عيناها في ارتياع ، وهي تهتف :

ـ رباه !.. ماذا أصابهما ؟!

تنهد ، قائلاً :

ـ لم يصبهما شيء بعد ، ولكنهما يواجهان خطرًا رهيبًا .. رهيبًا بحق .

وهوى قلب (نادية) بين قدميها ..

* * *

ارتفع منسوب السائل الأحمر في سرعة ، داخل الفجوة الصخرية ، وهو مستمر في التدفق بسرعة ، عبر الفتحات العلوية والسفلية ، حتى بلغ أكتاف (خالد) و (واتسن) ، اللذين أصابهما ذعر شديد ، وبدا لهما أن نهايتهما آتية لا ريب ، وأنهما لن يلبثا أن يموتا غرقًا ، في أعماق ذلك السائل الدموي ..

وفي هلع ، هتف (خالد) :

ـ لن يمكننا أن نسبح طويلاً .. كفي المسحوقة تطلق في جسدي آلامًا رهيبة ، ولن تضرب الماء لأكثر من دقائق معدودة ، وبعدها ..

أمسكه (واتسن) جيدًا ، وهو يقول :

ـ سأبذل قصارى جهدي من أجلك يا رجل .. إنني أجيد السباحة إلى حد ما .. سأحملك بقدر ما أستطيع ، وربما أمكننا التشبث بالحافة .

ارتفع السائل إلى عنقيهما ، و (خالد) يهتف :

ـ هؤلاء الأوغاد لن يسمحوا لنا بهذا .. أراهن أنهم سيطعنوننا برماحهم ، إذا ما اقتربنا منها ، ثم إنك مصاب بالفعل ، وصدرك ينزف ، بسبب مخالب تلك اللعينة ، وضلعك المكسور سيؤلمك حتمًا ، و ....

جذبه (واتسن) إليه ، وهو يسبح بقدميه بالفعل ، مع ارتفاع منسوب السائل ، وقاطعه في صرامة :

- اصمت يا رجل .. اصمت واضرب الماء بقدميك .

راحا يبذلان قصارى جهديهما ، لإبقاء وجهيهما خارج الماء ، والمنسوب يرتفع أكثر وأكثر ..

ولكن كليهما كان منهكًا بالفعل ..

الألم والخوف والعذاب نالا منهما ، وأجهدا جسداهما وعقولهما ، وأصبحت المقاومة عسيرة ومرهقة ..

وابتسامة الحرّاس الساخرة المتشفية تنال منهما أكثر وأكثر ..

وفي مرارة وتهالك ، قال (خالد) :

- اتركني يا (واتسن) .. لن يمكنك أن تقاوم من أجلنا معًا .. اتركني وقاتل من أجل حياتك .

أجابه (واتسن) في حزم :

- مستحيل !.. إنها مسألة وقت فحسب .. من الواضح أن كلينا سيموت غرقًا في النهاية ، وأنا أفضل أن نموت معًا .

كانت المقاومة تزداد صعوبة في كل دقيقة تمضي ، والتعب يتزايد ويتزايد ، ومنسوب السائل يرتفع ، ويرتفع ، و ...

وفجأة ، توقف تدفق السائل من الفتحات العلوية ..

وفجأة أيضًا ، بدأ منسوبه ينخفض ..

وينخفض ..

وينخفض ..

وفي دهشة تمتزج بالفرح ، هتف (خالد) :

- رباه !.. لن نموت يا (واتسن) .. هؤلاء الأوغاد كانوا يتسلّون بتعذيبنا فحسب ، ولكنهم لن يقتلونا .. لن نموت غرقًا .

كان (واتسن) يشعر بالدهشة لهذا التصرُّف السادي العجيب ، ولكنه لم يعلّق على قول (خالد) ، وواصل ضرب الماء بقدميه ، حتى لامستا أرضية الفجوة ، فتوقّف في حذر ، وانتظر حتى تم تصريف السائل كله عبر الفتحات السفلية ، ثم غمغم :

- عجبًا !..

ألقى (خالد) جسده أرضًا ، وهو يلهث بشدة ، هاتفًا :

- كانوا يتسلّون بتعذيبنا !.. يا لهم من وحوش .

صمت (واتسن) بعض الوقت ، وهو يتطلّع إلى عيون الحراس ، التي ما زالت تحمل شماتة ساخرة واضحة ، مع لمحة ترقُّب ، جعلته يدير عينيه إلى الفتحات

السفلية ، ويتساءل عما ينتظرون قدومه منها ، بكل هذه اللهفة ..

ثم تناهى إلى مسامعه ذلك الصوت ..

صوت أشبه بوقع أقدام صغيرة ، يأتى عبر الفتحات السفلية ..

وفى توتر ، قال :

ـ هل تسمع هذا يا (خالد) ؟!

أرهف (خالد) سمعه لحظة ، ثم اتسعت عيناه فى ارتياع ، وهو يقول :

ـ رباه !.. هذا يشبه الـ ..

قبل أن يتم قوله ، برز حيوان صغير من إحدى الفتحات السفلية ..

حيوان أشبه بالفأر ، بدون ذيل ، ويغطى جسده جلد سميك ، بدلا من ذلك الفراء الرمادى ..

وحدق (خالد) و (واتسن) فى ذلك الحيوان الصغير ، فى مزيج من الدهشة والقلق ، فى نفس الوقت الذى ظهر فيه حيوان آخر ، من فتحة أخرى ، ثم تلاه ثالث ، ورابع ، وخامس ، وعاشر ..

وهتف (واتسن) :

ـ رباه !.. تلك الحيوانات الصغيرة تبدو وكأنها ..

لم يكن قد أتم عبارته هذه المرة ، عندما انقض عليه أحد تلك الحيوانات الصغيرة ، وغرس أنيابه فى ساقه ، ثم انتزع منها قطعة من اللحم فى وحشية ، جعلته يطلق صرخة ألم وذعر رهيبة ، فى حين اتسعت عينا (خالد) ، وهو يردّد فى رعب هائل :

ـ لا .. لا .. إننى أفضّل الموت غرقًا ..

فقد كان من الواضح أن الرحمة لم تعرف سبيلها إلى قلوب الطغاة ، عندما تراجعوا عن فكرة قتلهما غرقًا ..

كل ما فى الأمر أنهم اختاروا لهما ميتة أكثر عذابًا .

وأكثر بشاعة ..

أكثر بكثير ..

★ ★ ★

امتلأت نفس (أكرم) بدهشة بالغة ، وهو يحدق فى ذلك المشهد ، الذى نقلته إليه عدسات المنظار المقرب ، وهتف فى انفعال :

ـ رباه !.. أهذا حقيقة يا (نور) ، أم أننا نطالع فيلمًا من الأفلام التاريخية القديمة ؟!

أجابه (نور) ، وهو يستعيد المنظار ، ويتطلع ثانية إلى ذلك المشهد العجيب :

- بل هو حقيقة يا (أكرم) .. إنها قلعة حقيقية .. قلعة تشبه تماما تلك القلاع القديمة ، التى بناها الملوك والإقطاعيون ، فى العصور الوسطى ، بأسوارها المرتفعة ، وأبراجها ، وحتى الجسر المقام على الخندق المحيط بها .. ومن الواضح أنها قلعة هائلة ، ذات استحكامات قوية ، وأسوار حصينة .

ثم رفع المنظار عن عينيه ، وهز رأسه ، مستطردا :

- يا للعجب !.. لقد قرأت العديد من النظريات ، التى تؤكد أنه لو توافرت لكوكب آخر ، نفس الظروف المعيشية ، والتطور الجيولوجى ، الذى مرت به الأرض ، فمن المحتمل أن تنشأ فيه حضارة مشابهة فى تطورها لحضارة الأرض(*) ، ولكننى لم أتصور أبدا أنه من الممكن أن يبلغ الأمر هذه الدرجة من التماثل .

هتف (أكرم) مستنكرا :

(*) نظرية علمية بالفعل ، تقول : إن البدايات المتشابهة ، تؤدى على الأرجح إلى نتائج متشابهة ، وهناك تيار يميل إلى هذه النظرية ، وآخر يخالفها ويعارضها بشدة ، مؤكدا استحالة نشوء حضارتين متشابهتين ، مهما تماثلت الظروف .

- التماثل ؟!.. أو تماثل يا (نور) ؟!.. الأمر ليس مجرد قلعة ، تشبه القلاع التى عرفتها أرضنا فى الماضى .. كل شىء فيما عدا هذا يختلف تماما عن مثيله فى الأرض .. الأحجام ، والمياه ، والطبيعة ، وحتى درجات الحرارة .

ابتسم (نور) ، قائلا :

- وماذا عن الخيول ؟

أجابه (أكرم) فى سرعة :

- هل رأيت ألوانها ؟!

هز (نور) رأسه ، وقال :

- فليكن .. الظروف لا تسمح بمناقشة النظريات العلمية وتداعياتها الآن .. المهم أننا حددنا المكان الذى أتى منه هؤلاء العمالقة .

قال (أكرم) فى سخرية عصبية :

- وهل تعتبر هذا نجاحا ؟

مط (نور) شفتيه ، وقال :

- أعترف أن القلعة ضخمة ومنيعة ، وأصحابها عمالقة أشداء ، ولكن التوصل إليها يعد خطوة على الطريق .

واصل (أكرم) حديثه العصبى الساخر ، وهو يقول :

- وكيف تتوقع منا أن ندخل هذه القلعة الحصينة ؟!.

هل نطرق بابها ، ونلوّح بأيدينا ، ونبتسم فى أناقة قائلين : مرحبًا .. هل يمكننا زيارة رفاقنا ؟

انعقد حاجبا (نور) فى ضيق ، وهو يقول :

ـ الموقف لا يحتمل السخرية يا (أكرم) .. ينبغى أن تعتصر ذهنك ؛ لتبحث معى عن وسيلة ، لمواجهة هذا الموقف .

شعر (أكرم) بالخجل فى أعماقه ، وغمغم :

ـ معذرة يا (نور) .. يبدو أن الموقف الصعب أثار أعصابى .

تنهّد (نور) ، قائلاً :

ـ أنا مثلك يا صديقى ، ولكننى أبذل قصارى جهدى للسيطرة على أعصابى ، لأن الموقف يحتاج إلى كل طاقتنا ، و ...

بتر عبارته بغتة ، وهو يدور على عقبيه ، هاتفًا :

ـ احترس يا (أكرم) .

استدار (أكرم) فى سرعة مدهشة ، إثر هتاف (نور) ، ورأى واحدًا من هؤلاء العمالقة ينقضّ عليه ، رافعًا هراوة ثقيلة ، ويهم بضرب رأسه بها ، فقفز جانبًا ، وهو يستلّ مسدسه من حزامه ، هاتفًا :

ـ أيها الوغد .

وأطلق رصاصات مسدسه ..

ولأنه مقاتل محترف ، يعى دروسه ويستوعبها جيدًا ، فقد أدرك أن تلك الدروع الصلبة تتصدّى لرصاصاته ، لذا فقد أطلقها نحو رأس العملاق مباشرة ..

وضربت هراوة العملاق الهواء ، بعد أن تفاداها (أكرم) ، فى حين أصابت رصاصة هذا الأخير رأس العملاق ، بين عينيه مباشرة ، وقذفته إلى الخلف فى عنف ، فى نفس اللحظة التى ظهر فيها عملاقان آخران ، يطلقان صرخات قتالية رهيبة ، وينقضّان بسيفين هائلين ..

ومن خلفهما ظهر آخرون ..

وصاح (نور) ، وهو يثب على متن جواده :

ـ أسرع يا (أكرم) .. لن يمكننا أن نقاتل كل هؤلاء العمالقة وحدنا .

قفز (أكرم) على صهوة جواده بدوره ، وهو يهتف :

ـ صدقت .

وانطلق الاثنان يركضان بجواديهما ، فى قلب الصحراء الصخرية ، فهتف قائد فريق العمالقة برجاله ، الذين قفزوا على جيادهم بدروعهم ، وبدأت مطاردة عنيفة فى قلب الصحراء ..

وفى توتر شديد ، هتف (أكرم) :

- أين نذهب يا (نور) ؟!.. إنها صحراء جرداء ، ولا يوجد مكان واحد يصلح للاختباء .

أجابه (نور) فى حزم :

- لن نستسلم بسهولة يا (أكرم) .

هتف (أكرم) :

- بالتأكيد ، ولكن هل نواصل العدو هكذا إلى الأبد ، أم ..

قبل أن يتمّ عبارته ، ظهر فريق آخر من العمالقة ، يتجه نحوهما ، من الاتجاه الآخر ، فصاح (أكرم) :

- رباه !.. هؤلاء الأوغاد حاصرونا يا (نور) .

انعقد حاجبا (نور) فى شدة ، وهو يدير عينيه فيما حوله ، محاولاً تقييم ذلك الموقف ، الذى بدا له شديد الصعوبة والتعقيد ..

هناك خمسة عمالقة أشداء يطاردونهما ، على متن جياد قوية ، وستة آخرون يعترضون طريقهما ، على مسافة كيلو متر واحد ، وإلى يسارهما ، وعلى بعد عشرة كيلومترات تقريبًا ، قلعة ضخمة حصينة ، يعلم الله (سبحانه وتعالى) وحده ، كم تحوى من هؤلاء الطغاة .. وإلى يمينهما تمتد الصحراء الصخرية ، بتضاريسها المعقدة وطرقها الوعرة ..

ولم يكن هناك سوى سبيل واحد ..

وبلا تردُّد ، جذب (نور) عنان جواده إلى اليمين ، وهو يهتف بـ (أكرم) :

- اتبعنى .

هتف (أكرم) ، وهو يتبعه بلا تردُّد :

- إلى أين ؟!

ولم يجب (نور) ..

لم يكن لديه بالفعل ما يجيب به ..

فالصحراء تمتدّ أمامهما جرداء وعرة ، ليس بها سوى بعض الصخور البارزة الضخمة ، التى قد تصلح للاختباء من عدو يجهل وجودك ، ولكنها لا تفيد مطلقًا ، فى مثل هذه الظروف ..

وعلى الرغم من هذا ، فقد اتجه (نور) و (أكرم) نحوها ..

ربما لأنه لم يكن أمامهما سبيل آخر سواها ..

أو أنه قدرهما ، الذى قادهما إليها ..

وفى توتر بالغ ، كرّر (أكرم) سؤاله :

- إلى أين يا (نور) ؟!

هتف (نور) ، وهو ينطلق بجواده نحو أضخم صخرة فى المنطقة :

- ألديك اقتراح آخر ؟

أجابه (أكرم) ، وهو يلحق به فى سخرية عصبية :
ـ ما رأيك فى الانتحار ؟!

لم يكد يتم عبارته ، حتى برز أربعة من العمالقة بغتة ، من خلف الصخرة الضخمة ..

برزوا وهم يحملون شبكة ضخمة ثقيلة ، اندفعوا بها نحو (أكرم) و (نور) ..

وصهل الجوادان فى ذعر ، وحاول (نور) التراجع ، فى حين لوّح (أكرم) بمسدسه ، هاتفًا :
ـ اللعنة !

وألقى العمالقة الأربعة شبكتهم ، التى أحاطت بـ (نور) و (أكرم) ، وجواديهما ، ثم جذبتهم جميعًا إلى الأرض ، مع تلك الكرات المعدنية الثقيلة فى أطرافها ..

وأطلق (أكرم) ما تبقى فى خزانة مسدسه من رصاصات ، وهو يقاوم تلك الشبكة الثقيلة ، ثم انتبه فجأة إلى أن العمالقة الخمسة عشر قد أحاطوا بهما فى دائرة واسعة ..

دائرة تعنى أنهما قد سقطا فى قبضة الطغاة ..
طغاة الكوكب الدموى .

★ ★ ★

انتهى الجزء الثانى بحمد الله ويليه الجزء الثالث والأخير (كوكب الطغاة)

رقم الإيداع ٣٢١٥

الفجوة السوداء

- مامصير (نور) ورفاقه ، بعد سقوط مكوكهم فى قلب الفجوة السوداء ؟!..
- لماذا وصف (محمود) ذلك العالم بأنه رهيب مخيف ، وماسر ثورة الطبيعة فيه ؟!..
- ترى هل يجد (نور) و (أكرم) سبيلا للعودة ، أم تنتهى حياتهما خلف (الفجوة السوداء) ؟!..
- اقرأ التفاصيل المثيرة ، وقاتل مع (نور) ورفاقه .. من أجل الأرض .



العدد القادم : كوكب الطغاة



د. نبيل فاروق

ملف المستقبل

سلسلة روايات بوليسية للشباب من الخيال العلمى

110

الثمن فى مصر ٢٠٠ ومايعادله بالدولار الأمريكى فى سائر الدول العربية والعالم